باب العلوم

العلوم التي لابد منها للعلماء وطلاب العلم تنقسم الي قسمين (مقاصد) وهي العلوم الدينية (ووسائل) وهي علوم اخر لابد منها ولا غني عنها وتحت كل قسم انواع كثيرة ولكنهم الآن يقتصرون في كل من القسمين على بعض الانواع ثم يجرون فى دراسة ما اقتصروا عليه على طريقة لاتفى بالغرض للمقصود منه ونريد ان نبين هنا جميع العلوم والمقادير اللازمة منها وما ينبغي فيها مبتدئين بالمتداول المشهور منها وهو الفقه والتفسير والحديث والتوحيد والبلاغة والاصول والنحو (ومنه الصرف) والمنطق متبعين ذلك بغير المتداول اوالمتداول الغير المشهور وذلك هو علم الدعوة الاسلامية وتهذيب الاخلاق والتصوف والقرآن والتاريخ والجغرافية واللغات الاجنبية والحساب والهندسة والانشاء والعروض ومتن اللغة وعلوم حقائق الموجودات وخواصها واسرارهـا فنقول ومن الله نرجو القبول

الفقه

الفقه هو اعظم العلوم عناية فى المدارس الدينية لانه يشغل نصف مدة الدراسة تقريباً بحسب الترتيب الاصلى ولكن مما يوجب الاسف ان النتيجة التي تحصل بعد هذا العناء لاتستحق ربع هذا الزمان اذ بعد ان يكون العالم قد اشتغل بالفقه تعلماً من يوم طلبه ليوم تدريسه وتعليماً من تدريسه الى ما شاء الله لو سالته عن كثير من المسائل لقال حتى اراجع مع ان ذلك نقص واضح وسببه عدم سلوك الطريق اللازم فى دراسة الفقه اذ هذا العلم الآن من العلوم النقليه المصرفه التي لاينفع فيها الا الحفظ مع تفسير المحفوظ بقدر ما ينبغي

اكثر الصعوبه فى الفقه انما جاءت من عبارات المؤلفين وايداعهم المعانى الكثيرة في الجمل القصيرة فقراءة هذه الكتب واجهاد الفكر فى تصور معانيها ثم تركها وفهم غيرها لايجدي ابداً وما الانسان فيه الا كمن يشغل وقته بالصيد ثم كلما اصطاد شيئاً افلته

طالب العلم بدل ان يشغل هذه الاوقات كلها بالفقه اعني

ساعتين في اول النهار للتلقي وساعتين اخري للمطالعه من كل يوم من ايام اشتغاله على طولها ثم يخرج بلا نتيجه . يكيفيه ان يحفظ متناً كبيراً لاياخذ منه اكثر من زمن مطالعة الفقه في السنه الاولى ثم يحضر شرحاً له مرتين على الاكثر في سنتين اخريين وشرحاً كبيراً مرة في سنتين ايضاً فيكون في هذه المدة قد تحصل من الفقه على ما ليس عند المشتغل به على طريقتنا اليوم ثلاثين سنة . ويكون له من اوقات الفقه الباقية ما يكفى العلوم المتداولة الآن جميعها

هذا واني ارى ان الاقتصار على تعلم مذهب واحد نقص لايليق بالعلماء الآن لان تعلم العالم ليس الغرض منه ان يعمل فقط بل وان يعلم غيره وكثير من غيره على غير مذهبه وربما لم يجد سواه ليساله او كانت ثقته به اكثر فالاقتصار حينئذ على مذهب واحد بمنزلة تعلم ربع الدين فقط ولو كان الامر صعباً لكان لنا من العذر ما يسوغ هذا النقص ولكن الامر سهل جداً وما هو الا ان يوضع متن تبين فيه المذاهب الاربعه ولو بطريق الرمز على وجه سهل مثل ما فى الشاطبية ثم

يشرح شرحين مختصر ومتوسط و يحال في الاطناب على الكتب المختصه بكل مذهب و بهذه الواسطة يمكن الطالب ان يتقن المذاهب الاربعة في خمس سنين وهو الآن يشتغل طول عمره بمذهب واحد ثم لا يتقنه

هذا واني لتعتريني دهشة شديدة واستغراب عظيم كلما تذكرت حال علمائنا المتخرجين اليوم وجهلهم الشديد بعلم الفقه وعدم عنايتهم به لا تعلما ولا تعليما وذلك انه بمجرد ان تنتهي سنو الطلب الاولى يترك المتنورون هذا العلم و يقصرون جدهم واشتغالهم على العلوم الاخرى كالمنطق والاصول والبلاغة استعدادا للامتحان الذي لا يعول فيه الا على مثل هذه العلوم دون الفقه والحديث والتفسير ثم هم متى نجحوا فيه تركوا تعليم الفقه ايضاً واظهروا براعتهم في تعليم المنطق والنحو والبلاغة . ولا ابالغ ان قلت ان بعضهم لا يعلم من الفقه جميع ما يلزم له في عبادته اليومية و بئس هذا النقص الواضح والخلل الفاضح الذي لا دواء له الا الاعتناء بالفقه في الامتحان واعتبار التحصيل

التفسير

من الواضح الجلي ان التفسير من اهم العلوم الدينية التي يجب ان يكون العلماء فيها على مكانة واطلاع تامين بل من العلوم التى يجب ان ينشروها بين المسلمين كافة ليكونوا منها على بينة

اذا كان القرآن اصل الدين وكتاب الله الذي يخاطب به المسلمين في كل زمان . واذا كان من العبث البين بل مما تأباه نفس كل انسان مهما كان منحطاً في مراتب التعقل ان يأتيه كتاب (جواب)من احد الناس ثم لايفهم معناه ولا يعرف ما يشير اليه (ولذا نرى لاميين يقصدون القراء كي يقرأوا الكتب الواردة لهم وقد لاتكون ذات فائدة). اذا كان الامر هكذا فكيف يجوز ان لايعرف واحد من المسلمين فضلاً عن علمائهم معنى هذا الكتاب الالهي بقدر ما تسمح به معلوماته ويناسب حاله ودرجة فكره

اليس من المحزن ان يتهاون علماءنا اليوم في تعليم هذا العلم ونشره مع الحاجة الشديدة اليه واليس من المخجل ان يدرك هذه الحاجة واحد ليس منهم كحضرة (فريد وجدى) فيقوم بنشر تفسير بطريقة سهلة وهم غافلون عن مثل هذا المنهج الشريف

بل اليس من العار الاكبر ان يتهاونوا في تعلمه والاعتناء به حتى ان اكثرهم يجهل معاني كثير من آيات التنزيل وربما كان يكررها كل يوم فى صلاته ولو سئل عن آية في محفل اكان في الاغلب متردداً بين حالين اما ان يقول ما لايعلم او يقول لااعلم و بئس الحالان

ذلك لانهم جعلوا هذا العلم من العلوم الثانوية التي ليس لها حصص مقررة بل هى بحسب الاتفاق واهواء الاساتذة في القراءة والطلاب في التلقي ولم يكن بينهم من موضوعات التسابق والتفاضل كالبلاغة (وان كانوا يقولون فيها ان فائدتها معرفة اعجاز القرآن) والنحو (وان كانوا يتعلمونه ليفهموا كلام الله)

سبب التهاون في التفسير

والسبب في هذا التهاون العام هو عدم الاعتناء بهذا العلم في امتحان العالميه وعدم السير فيه على الوجه الذي يتاكد منه الاساتذة ان الطالب على خبرة تامة بهذا العلم النفيس بل بالعكس هم يجرون على منهج يعجب الانسان منه ويحار في فائدته اذ ليس له حظ من معني (امتحان في التفسير)الا اسم التفسير

ذلك لانهم يعينون للطالب آية لكي يذاكرها ثم ياتي ليلقي معناها فى كتاب او غير كتاب فالجاري الآن ان الطلاب لايعيرون هذا العلم التفاتاً بل ان اكثرهم لايتلقي درساً فيه ثم اذا جاء وقت الامتحان كانت عندهم القوة التي يمكنهم بها ان يفهموا من انفسهم او من غيرهم ما يقراونه في الكتب . ففى هذا الوقت خاصة يفتحون كتب التفسير ليطلعوا على معني الآية المعينة

فما هي اذاً الفائدة من هذا الامتحان وما الذي يدل عليه من حالة الطالب في هذا العلم . وهل غاية ذلك الا ان يعلم هل عنده ملكة الفهم او لا وذلك اولاً يكون قد علم من غير التفسير كالمنطق والتوحيد وثانياً يستوي فى هذا ان يعين له في كتاب الله تعالى او في قصة عنترة وليس لخصوصية كتاب الله دخل فى هذا المقصد اصلاً

فالذي اراه وجوب العناية بالتفسير وان يعطي الامتحان فيه حظ من مسماه بحيث لاينال الطالب اجازة تدريس فيه الا اذا كان بحيث متى سئل عن اي آية اجاب ولا اريد ما يتعلق بالتحقيقات الغامضة والمباحث العويصة بل يكتفي بالدرجة المتوسطة

فى ذلك المقدوره لكل انسان التي تحصل من مزاولة التفسير المختصر مرتين او ثلاث وان يكون امتحان التفسير هو ان يختبر الطالب في معني عشر آيات على الاقل من سور مختلفة تقترح عليه في المجلس ولا يكون له بها علم من قبل . والخلاصة ان العالم لا يكون مستحقاً لهذا الاسم الا اذا كان بحيث متى سئل عن معني اي آية اجاب واما الاكتفاء بانه عنده قدرة ان يفهم اذا قرأ فى كتب التفسير فلا يجوز اذ هذا لا يجعل بينه وبين عامة المتنورين من غير العلماء فارقاً

اساليب التفسير

هذا ولا بد لي ان اقول هنا ان اكثر كتب التفسير المتداولة الآن ناقصة جداً الا فيما يتعلق بمسائل النحو ونكات البلاغة ونحو ذلك بل اقول ان اكثرها مضر لانه يخيل للقاريء ان الحقيقة صعبة المنال بالنسبة لكثرة الاحتمالات التي يذكرونها في كل آية بل وكل كلمة

وتالله ان تفسير القرآن ليس بالامر الهين واذا كان القرآن هو اصل العلوم ومنبع المعارف (وما فرطنا فى الكتاب من شيء)

وهو الكنز الثمين والبحر التي لاتنفد عجائبه فلا شك انه يتقدم بتقدم الانسان ويترقي بترقيه في العلوم والمعارف . وأن كل من اتقن فناً من الفنون فلا بد ان يجد في القرآن معني آخر ومزية اخرى وعجائب عامة لابد ركها من لم يحط بذلك الفن فالنحوي والبلاغي لايمكنه ان يفيض الكلام في الآيات المشيرة الى نواميس الكون وطبائعه وصاحب التاريخ لايمكنه ان يسترسل في مأخذ المسائل الفقهيه بل بقدر التمكن في كل علم تدرك وجهة من معاني كتاب الله تعالى

فهو على ذلك كتاب يشترك فيه الكبير والصغير والبدوي والحضري والمتمدن والمتوحش والسالف والماضر والآتي في كل زمان وفي كل مكان . كل يغترف منه على قدر استعداده الفطري او الكسبي لايخالف حقيقة من الحقائق ولا طبيعة من الطبائع ولا ينقصه شيء

ومن هذا الوجه فاني ارى الحاجة شديدة الى انتهاج طريق آخر يكون المعول عليه فيه جانب المعاني ويكتسب صبغة التاثير على حسب ما يناسب الناس اليوم ويلائم معارفهم . وفي هذا المقام

استحسن كثيراً الاسلوب والطريقه العمومية التي ينهجها فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده

الحديث

هذا هو العلم التي احاطت به العوارض الخطرة في ماضى الايام واشتغل به علماء الامة قرونا فحصوه فيها فحصا واستخلصوا صحيحه كما تستخلص ذرات التبر المنتشرة في التراب ولا يعلم الا الله مقدار الصعوبات الجمة التي تكبدها العلماء في طريق هذا العلم الكبير فربما سافر احدهم شهرا او اكثر من اجل حديث واحد حتى هذبوه ورتبوه وعلم منه الحسن والصحيح والضعيف والموضوع ووجدفى اسفار صغيرة لاتكبر الا بذكر الاسانيد

افبعد هذا يجوز ان تكون منزلته عندنا كما هي اليوم وان نقصر فيه هذا التقصير الذي تعيرنا به اكثر الامم الاسلامية

كيفية الاشتغال بالحديث اليوم

الاشتغال بهذا العلم اليوم كالاشتغال بالتفسير ليس من مطمح انظار الطلاب ولا من المعتنى به بين العلماء ولا هو من الحصص

المقررة تقريراً ثابتاً واكثر الطلاب لايشتغلون به ومن اشتغل به فانما يكون منه ذلك على وجه (التبرك) او الامر الثانوي في الاعتناء

والعلة في هـذا التقهقر هي العلة فى تقهقر التفسير اعني التهاون في الامتحان فيه لان الامتحان في هذا كالامتحان في ذاك بل التهاون هنا اشد واكثر الاوقات يكتفون بتلاوة الحديث المعين وربما لايتمه وربما لايقرأه وقد علمت سخافة هذه الطريقة وانه لافرق بين حديث الرسول وقصة عنترة · ان تصور فيها فائدة فلتكن معرفة قوة الفهم وهذه تكون قد علمت من علوم اخر

ثمرات هذا العلم

ثمرات هذا العلم والبواعث على الاهتمام به كثيرة جداً وهي اشهر من ان تذكر ولكني اخص بالذكر منها امرين عظيمين نحن الآن في اشد الحاجة اليهما

اما الاول فهو حفظ الدين من ان يدخل فيه ما ليس منه وذلك لان امر الحديث غير منضبط ولم يكن يخشى على هذا الدين من التبديل والتحريف الا من قبل الحديث ولهذا كان موضوع الاهتمام من علماء السلف

ولا يخفى انه اليوم قد اشتهر على ألسنة الناس بل والعلماء كثير من لاحاديث الموضوعه وقد يكون من معانيها ما هو مضاد للدين بالمره وقد بلغت من التسليم ان يخطب بها على المنابر ويقولها الكبير والصغير ٠ اليس هذا تحريف الدين وتبديله او مقدمة ذلك وهل يظن ان التحريف والتبديل يقعان في الاديان الا على هذا النمط

اليس من العار ان يقوم من نعتقد اننا احق بهذا منه مبينا ان هذا الحديث حق وهذا لا (سواء اصاب او اخطأ) ونحن في زوايا المساجد لاهون او كسالى عن مثل هذا الواجب الجليل مشتغلين بتحقيقات وتدقيقات لافائدة لنا ولا للامة منها على التحقيق

بل اليس من العار اننا لايكون لنا من الاطلاع على الحديث ما نعرف به في انفسنا ما هو صحيح وما هو غير صحيح

قد عد اسلافنا هذا عاراً ونقصاً في وقت كان فيه الغاية التي لاتدرك والامنية التي لاتكاد تتحقق فما زالوا يجدون ويجتهدون و يواصلون الايام في التنقيب والتفتيش حتى تحصلوا على هذه الغاية باكمل وجوهها ودونوها في كتب بسيطة سهلة المنال ميسرة المأخذ

افبعد هذا يليق ان نكسل عن مد يدنا الى تلك الكتب وفتحها لنرى ما فيها وهل هذا الا كجائع يكسل ان يمد يده الى مائدة بعد ان يكون قد تعب رجال عديدون في تحضيرها

اما الامر الثاني فهو ما يفيده الاطلاع على الاحاديث من دقائق ما كان عليه سيدنا الرسول واصحابه وما يعطيه جملتها ويشير اليه من الاخلاق والاطوار والصفات والوجدانات والملكات التي كانت تحيط بالامة في صدر الرسالة ونحن الآن في اشد الحاجة الى الوقوف عليها

وبالجملة فان هناك معان تدل عليها لاحاديث مطابقة نحن نجهلها مع اننا في اشد الحاجه اليها ومعان اخر مهمة جداً يؤخذ من عرض الكلام نحن كذلك محتاجون اليها جداً لانها تتعلق بتكميل الوجدان والشعور (والمرء محكوم بوجدانه وشعوره)

مسئلة السند

قلت فيما تقدم ان كتب الاحاديث ما كبرت الا بذكر الاسانيد وهنا اقول ان الاسانيد ان كان لها حاجة الآن فهي ضعيفة جداً ويكفي ان يعرف ان هذا الحديث رواه البخاري اومسلم اونحو

ذلك فلو درست كتب الحديث بقطع النظر عن الاسانيد لامكن للطالب ان يطلع عن جملة كبيرة منها في زمن قصير. على ان هنا شيئين الاطلاع وتدبر المعني اما الثانى فامره سهل ويكفي فيه ان يكون للطالب بصيرة نيرة وملكة فهم معتدلة وهذا يحصل له من الاشتغال بالعلوم العقلية (والاحاديث المشكلة التي تحتاج الى المعونة فى الفهم قليلة جداً)

ومتى كان الامر هكذا سهل الاول ايضاً وتبين انه لاحاجة فيه الى دراسة رسمية الا بقدر معلوم ويتم الطالب البقية وحده اطلاعاً فهو بهذا الوجه علم مطالعة اكثر منه علم تدريس

القدر اللازم منه

والقدر اللازم منه لايحدد وانما هو ما يجعل الانسان من المطلعين مع وجود ملكة الاهتمام التي تقتضي البحث والمراجعة عند الحاجة. ومن السهل جداً ان يطلع الانسان على معظم الكتب الستة وعلى نحو كتاب اللآلىء المصنوعة ومن الواجب ايضاً فيه ان يحفظ الانسان مائة حديث على الاقل من كلام رسول الله الجامع وكذا غيرها بحسب الحاجة الزمنية

طريق الامتحان فيه

وارى ان يكون طريق الامتحان فيه مبنية على حفظ الطالب جمله من الاحاديث وان يتاكد من انه اطلع على كثير من الكتب مع معرفة الاصطلاح العام والخاص بكل كتاب من كتب الحديث المشهورة

التوصيد

قاتل الله الجدل . لو نظرنا نظر المتامل لوجدنا سبب انحطاط الامة التفرق وان اهم دواعي التفرق كان الجدل واختلاف الآراء في مسائل التوحيد

اي نعم هذا لاختلاف في الآراء هو الذي فرق شمل الامة وحرمها من منافع جمة وكنوز ثمينة هو الذي جعل الامة امتين (شيعة وسنية)بل جعلها امماً كثيرة يكفر بعضها بعضاً و يلعن بعضها بعضاً ويستحل بعضها دماء بعض وكم اهريقت دماء وخربت بلاد وانتهكت اعراض بل وانتقم من أئمة كبار بل من جثث هامدة فارقتها ارواحها بانواع التعذيب والتمثيل والتحريق . كان هذا فيما

مضي وقد بقيت بقاياه الى الآن فلقد روي احد عقلاء الاوروباويين المستهزئين باحوال الامم الاسلامية ان بعض الاعاجم افتخر امامه بانه كان يحارب الدولة العلية في صفوف الروسيا لانها (سنيه)

كم حرم المسلمون من مزايا بسبب الاختلاف في التوحيد · كم لحق المسلمين من الاذى والتاخر بسبب الاختلاف في التوحيد

كل هذا مما يدعو الى اننا كما نبحث عن أصل المقصد وهو وصف حال علمائنا اليوم في التوحيد وما يجب ان يكونوا عليه كذلك نبحث عن الطرق التي استعملت في اواخر القرون الاولى لتقرير علم التوحيد ولا يزال علمائنا يعنون على نعماتها وعن موافقتها لمقاصد التشريع وللواجب اتباعه · ولكننا على اي حالى لانريد ان نطيل المقال فهذا المقام يحتاج وحده الى شروح ضافية تشغل مجلداً ضخماً · بل الذي نريد ان نقوله الآن ان اكثر الخلافات لاحقائق لها وان حقيقة الامر في الدين الاسلامي اسهل وابسط من هذه التحقيقات والتدقيقات ولا تحتاج الى مثل هذه المشاغبات والخلافات التي قد يكون موضوع اكثرها مما لايضاد الدين الاعتقاد فيه

بايجاب او سلب او عدم اعتقاد احدهما او مما لايجوز الخوض فيه ولا تكليف العقل معرفته

وان طريقة النظر العقلي المجرد طريقة لايفيد التوغل فيها وحدها الا مخالفة المعقول وها هي اقوال كبار الأئمة تنادي بان هذا الطريق صعب مخوف فقد حكى عن بعض الأئمة (اللهم ايماناً كايمان العجائز) وجاء في شعر بعضهم قوله

فاذ الذي استكثرت منه هو الجاني عليَّ عظائم المحن
فضللت في تيه بلا علم وغرقت في يمٍ بلا سفن

وقال بعضهم

لقد طفت في تلك المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم ارَ الا واضعاً كفَّ حائر على ذقنه او قارعاً سنَّ نادم

وحسبنا دليلاً انها غير المعهود في زمن الرسول بل وفي القرآن والغرض انما هو حصول الاعتقاد الجازم من وجهة ثابتة مقدورة للناس ليس فيها شيء من الحرج . والنظر العقلي المجرد قد لايفيده من هذا الوجه اللهم الا بالنسبة الى اقوام قليلين وانما الذي يفيد

هو الدليل الذي يستمد من الحس والعقل معاً ويوءخذ من طبائع الوجود ونظاماته ومن المعهود فى الفطرة ومن الوجدان الصحيح · طريق يشترك فيه العامة وخواص الناس · طريق يفيد الحق الصريح بل وان احتمل معه النقيض نظراً لضروب الجدل · طريق بين اطراف الافراط والتفريط

على انه وقد سلك المتقدمون تلك المسالك وجرواعلى هذه المذاهب وكونوا هذا العلم تكويناً خاصاً فكان الواجب اما ان نجاريهم ونبلغ مبلغهم واما ان نتبع ما نرى انه خير منه

ولكن مما يوجب الاسف اننا لم نحصل على احدى الغايتين ولم يكن لنا من هذا العلم المهم حظ الا جمل يسيرة غير كافية بالنسبة لما يليق بهذا العلم الكبير

للمتقدمين مشارب كثيرة فى هذا العلم ولكن علمائنا اليوم يتبع اكثرهم مشرب الامام السنوسي وهذا فيما نرى قصور وحرمان لان هناك مشارب اخرى انفس وادق واعلى

على اني اقول ان التوحيد ينبغي ان يقسم الى قسمين قسم يقصد منه تحصيل الاعتقاد الصحيح وآخر يكون الغرض فيه صد هجمات

المعترضين من اهل الفرق الزائغة . ولا شك ان كل واحد من القسمين يحتاج الى ما لا يحتاج اليه الثاني واعتناء المتقدمين بالثانى كان شديداً ولكن ما كتبوه لا يفيد الآن كثيراً لان خصومنا اليوم غير خصومنا امس والشبه الموجودة الآن غير التي كانت موجودة

فلهذا ارى انه يجب ايجاد كتب مفيدة للقسم الاول ثم دراسه نحو كتاب تهذيب الكلام و كتاب الملل والنحل ثم اعمال الفكرة في ما يقمع اهل الشبه الكثيرة المنتشرة اليوم فان لكل زمان مقال والاقتصار على قراءة كتب الاولين التي هي فى الحقيقه تاريخ المخالفين الاقدمين والرد عليهم غير كاف اذ العلماء حماة العقائد وواجب عليهم النظر فيما يليق ان يحموها به وفى كيفية الحماية فان سيدنا الرسول قد حمى الدين بالسيوف والحراب ومن الواضح انه لو كان فى زماننا هذا لحماه بالبنادق ومدافع مكسيم

هذا كله فيما يتعلق باصول العقائد اما ما يتعلق بالدعوة الاسلامية واقامة الادلة على صحة الدين الاسلامي وحقيه رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهذا لا اره مسئلة من علم التوحيد بل ذلك علم مستقل وهو من العلوم المجهولة عند علمائنا اليوم

الا بنحو الدليل على ذلك انه اتي بالقرآن المعجز وامثال هذه الكلمات الاجمالية التي لاتفيد فى زماننا هذا ولا تقنع الخصوم

البلاغه

لااري شبيهاً لحال علمائنا وطلابنا فى دراسة البلاغة الا حال من يقرأ فى كتب بعض الصوفية ويقول (الجمع وجمع الجمع والفرق) ونحو ذلك من غير ان يعرف ذلك كما ينبغي او يتحقق به او يجده كما يجده الصوفي وذلك لان هذين العلمين (التصوف والبلاغه) مبناهما ليس على التعقل والتصور او التصديق بل المعول عليه فيهما النوع من الادراك المسمى (بالوجدان) او الاحساس والشعور الباطني الذي لايحصل الا بالتحقق بتلك المعاني كما لاتعلم لذة العسل وطعمه الا اذا ذقته وكما انه ما يعبر عنه في التصوف بجمع الجمع هو حال وجداني (نفساني) خاص لايعرفه حق المعرفة الا من تحقق به كذلك امر البلاغه لايعلمها حق العلم ولا يصلح للانتساب اليها الا من رق وجدانه وصفا ذوقه ودق احساسه حتى صار يشارك البلغاء فى التأثير والتاثر

وعبارة اخرى ان البلاغة الوصفيه لاتجدي دون العملية اذ

هى ليست من العلوم التي كمالها معرفتها فقط بل هي من العلوم الصناعية وغايتها الملكة التي تنشأ عنها الآثار فما لم توجد فلا بلاغة

ولقد كانت هذه الملكات عند اهلها تحدث تاثيراً يفوق الوصف ربما اذهب الارواح او حصل منه الاغماء

وهذا الحال الذي اراه كمالاً في البلاغة لايحصل الا من امرين تصور معاني دقائق البلاغة ونكاتها ثم التحقق بها فاما تصورها فطريقه تدبر مسائل المعاني والبيان والبديع الا ان حصوله من اعسر الامور لان التعبير عنها يرجع الى الوجدان وتصويره من اصعب الاشياء ولهذا ترى أئمة هذه الفنون يكثرون من الجمل المترادفة بحسب الظاهر ويطنبون في التفسير ويكثرون من الامثلة والشواهد والمقارنات لكي يمكنهم بمجموع ذلك ان يخيلوا المعني للطالب تخيلا يقرب من الحقيقة

واما التحقق بها فطريقه حسن التامل وكثرة التدبر ومطالعة كلام البلغاء مع مزيد العناية والالتفات الى دقائقه والتامل فى اسرار كلام الله وحديث رسوله وبالجملة فهو لايرجع الى امر خاص

ولا شيء معين الا ان لسلامة الطبع والاستعداد الفطري العالي دخل كبير فيه

ومما يوجب الاسف ان علمائنا اليوم يقتصرون على الشطر الاول المفيد لتصور معاني البلاغه الا انهم ايضاً لايوفونه حقه من وجهين الاول ان الكتاب الذي يدرسونه وهو (تلخيص الخطيب) غير وافية جملة بتصوير المعانى كما اراد واضع العلم وكما صورها أئمة الفن فهو من هذه الوجهة مختصر اختصاراً مخلا .. والثانى ان البحث في ما كتب على هذا الكتاب من الشروح والحواشي والتقارير التي لاتكاد تحصى لايدور على استجلاء حقائق المعانى المقصودة من هذا العلم واستطلاع مكنونات نفائسها بل على اشكالات ومباحث اما لفظية واما عقلية خارجة عن اصل المقصود

ولهذا فاني ارى ان يكون الاشتغال بهذا العلم على نحو هذا الترتيب * يحفظ متن التلخيص او ملخصه ويطالع الشرح المختصر مطالعة متوسطة * ثم يدرس قسم البلاغة من المفتاح ثم اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز وكل هذا يتم في ثلاث سنين او اربع على الاكثر ولا بد مع هذا من مطالعة كتاب (كالعقد الفريد)

البلاغة في الاسلوب

وهنا لابد من ملاحظة ان هناك نوعاً من البلاغة حقيق ان يسمى (البلاغة في الاسلوب) وهو المنفرد اليوم باسم البلاغة عند اكثر العامة ومرجعه الى انتقاء اساليب خاصة وبعض مفردات تفيد التاثير مع نوع غرابة لاتوصلها الى حد الوحشية وقد يكون هذا النوع المتحصل لو عرض على دقائق البلاغة لم يكن بليغاً ولكن هو على اي حال لايجب اهماله بل قد يكون الاعتناء باتيان كلام من هذا القبيل مفيد واشد تاثيراً من الاتيان بكلام ما يوفق للقانون على حد البليغ في القانون هو ما اثر . وهذا النوع هو كما يستعمله اليوم اكثر ارباب الجرائد والكتاب

الاصول

علم الاصول بحسب اصل وضعه علم جليل يوقف الانسان على الاسرار التشريعية وكليات الشريعة ومقاصدها الخ الخ ولكنه عراه الان على حسب ما بايدينا خمسة موانع ابعدته عن الغاية المقصودة لاول انه لم يعين فيه مقاصد الشريعة واسرارها وحكمها وما لوحظ من المصالح

في اوضاعها الكلية والجزئية وانما اكثر فيه من المباحث التي تدور على الامور التي ترجع الى القشور والتمسك بالظواهر . الثاني انهم اكثروا فيه من الخلافات اللفظية بغير جدوى و بدون فائدة ومن الخلافات التي لايترتب عليها شيء من الاحكام الدينية . الثالث انهم ادخلوا فيه كثيراً مما ليس منه بل هو من العلوم العربية او غيرها . الرابع انهم اكثروا فيه من الجدل وخرجوا بمسائله الى المعني العقلي البحت والذين اخرجوه هم من اشتغلوا به من جدليي المتكلمين حتى كانهم نسوا بالمره ان الغرض منه ان يبني عليه الفقه ولذلك اهملوا التفريع بالمرة بخلاف اصوليي الفقهاء من الحنفية فان مسلكهم فى ذلك هو المسلك اللائق المقبول . الخامس ان الكتاب الذي اشتهر وتداولته الايدي فى هذا الفن واعني به جمع الجوامع غير واف بالمقصود وذلك لان صاحب المتن اراد ان يجمع الاسفار الكبيرة في كلمات صغيرة يتيسر حفظها . وهذا على الجملة عمل مفيد وكان الذي ينبغي حينئذ تاليف الشروح الواسعة لتبيين اصل المسائل المذكورة فيه على طريق الرمز والاشاره بالايضاح الكافي حتي يمكن للطالب ان يحفظ ثم يفهم ولكن جرى الامر على خلاف هذا تماماً

واليك البيان

شرح المحلى هذا المتن شرحاً فى غاية الايجاز حتى كانه مع المتن متن لايزال في دايرة الاختصار ثم جاء الكاتبون بعده ونظروا فى المتن والشرح نظر المنتقد على التاليف في لفظه وتركيبه لانظر المبين المفيد ليقولوا ان هذا التاليف غير مستقيم ثم جاء قوم آخرون ينتصرون لصاحب المتن والشرح بحق او بغير حق والفت الاسفار وشحنت الاوراق باخذ ورد ثم جاء آخرون كالمعتدلين ليحكموا بين الطرفين وجل البحث في جميع ذلك عائد للفظ المتن والشرح لا لفقه المسائل بل ذاك رموا به وراء ظهورهم جملة ولو أحصي المكتوب على هذا المتن فى هذه المباحث السخيفة عديمة الجدوى

لكاد يبلغ مائة مجلد

ولاابالغ ان قلت ان هذا الكتاب بما كتب عليه صار سدا مانعا من تعلم الاصول وان الطلاب بعد ان يفنوا اشد المصاعب في تفهيه السنين الطوال يخرجون بلا فائدة كانهم ما عرفوا الاصول فلذلك ارى حرصاً على الفائدة انه لابد من حفظ متن في الاصول ولو كان متن جمع الجوامع كان حسناً وفي التلقي اما ان يؤلف

شرح جديد واف له واما ان يبدل بغيره من نحو المنهاج . وهنا لابد لي ان اشير الى ذاك الكتاب الثمين الذي لااصفه باكثر من انه يعد للانسان للاجتهاد واعني به كتاب (الموافقات) الذي لايشارك كتب الاصول الا في الاسم والا فهو معنى آخر ومشرب ثانى اولى به إن يسمى مقاصد الشريعة واسرارها او عنوان التعريف باسرار التكليف كما سماه صاحبه اولاً فان مطالعة هذا الكتاب متعينة على الطلاب والله اعلم بالصواب

النحو

هذا العلم ليس من العلوم المقصودة لذاتها والغرض منه ان يعرف الانسان كيف يكتب وكيف يقرأ وكيف يتكلم بلغة الاسلام العربية ثم هو فى ذاته ليس من العلوم العقلية القابلة للبحث والتوسع بل مداره على النقل واستمداده من المسموع والمنقول عن العرب الفصحاء وليس له من علة وراء ذلك كما هو شأن جميع اللغات ومن الواضح وجوب الاشتغال به ولكن على وجه يضمن حصول الغاية منه مع تمام السهولة والقرب كما هو شأن الامور المقصودة لغيرها

ولكن مما يحزن ويوجب مزيد الاسف ان الاشتغال به

الآن جار على كيفية تناقض افعال الحكماء المنزهة عن العبث. ضياع زمان يكفي اكثر من عشرة علوم ومع هذا كله فلا تحصل الغاية. فالطالب من يوم قدومه يشتغل به مبتدئاً بشرح الكفراوي المبتدي، بذكر (اوجه البسملة) ودقائق النحو منتهياً الى حاشية الصبان على شرح الاشموني في مدة ثلاث سنين ومع ذلك لو سألته عن اكثر المسائل النحوية اجابك (موش فى بالي) هذا فضلا عن انه بعد هذا الاشتغال لايمكنه ان يحسن التكلم بالعربية ولا القراءة بها وكم من المدة يمضي في هذا العلم العقيم. ثمان سنين على الاقل باعتبار اربع ساعات في كل يوم. ساعتين للدرس وساعتين للمذاكرة فاي فساد اكثر من هذا الفساد. تلك الكتب الكبيرة ليست كلها نحواً صرفاً بل اكثرها مباحث عديمة الجدوى يتصدون بها التفلسف في النحو والصرف لغرض توسيع دائرة الفهم ولكن هي اولاً لرداءتها وسخافة موضوعها لاتفيد الا خسارة العقل وحطه الى الحضيض السافل وتمرينه على تعليل الامور بالعلل الخرافية الواهية وانحرافه عن جادة الصواب. فضلاً عن انها تكون عقبة دون فهم مسائل النحو واحرازها جملة في العقل لما يكون حينئذ

من التشتيت

ومن الواضح مما تقدم ان النحو امر نقلي المدار فيه على السماع وليس ميداناً للبحث وتسابق الفكر فلا يصح ان يكون المرسح الذي يعلم فيه الفهم وتربي فيه الملكات بل الواجب ان يواخذ مسلما في ربع الزمن الذي يصرف فيه الآن او ثلثه او نصفه وفي الباقي تعلم علوم اخرى يصح ان تكون ميداناً للتنافس في البحث فيستفيد تلك العلوم و يستفيد الملكة على اتم وجه و يمكنه حينئذ ان يعلق على كتب النحو احسن او مثل ماهو معلق عليها الا ن من الحواشي

على ان كون الغرض من النحو ضبط احوال الكلام العربي كما كان ينطق به اهله يدعونا للتفكر اليس هنالك طريق اخرى توصل الى هذه الغاية وتكون اسهل واقرب وهل كل ما قاله النحاة لابد منه لهذا الغرض وهكذا الحال في كل علم يكون الغرض منه الوصول الى غاية معينة فمتى امكن تحويره او تقريبه او تسهيله او بدت طريق اخرى اخصر فلا يجوز الارتكان ولا التعويل على الاول لان هذا يكون حينئذ من الجمود المضر الموخر

ومن هذا فاني ارى اولاً انة لايجوز ان تكون دراسة النحو وصفية محضة بل لابد من ملاحظة العمل والتطبيق تكلماً وقراءة

ثانياً ان تحذف منه سائر المباحث التافهة المشوشة والصوفة

ثالثاً ان تكون كيفية الدراسة على نحو هذا الترتيب* تفسر معاني الاجرومية بدون تعرض للاعراب الا بقدر الضرورة وان كان لابد من شرح فليكن شرح الشيخ خالد و بعده يكون شرح الكفراوي ثم يقرأ شرحا القطر والشذور ثم تحفظ الالفية و يقرأ شرح ابن عقيل مرتين و كل هذا يتم فى ثلاث سنين او اربع اما نحو الاشموني وغيره فيكون من كتب المراجعة

المنطق

المنطق مفتاح الحكمة ودليل الصواب ومقوم العقل وموسع دائرة الفكر . ولكن ذلك يكون له حيث يصير ملكة للانسان يسهل عليه جعل حركات فكره مرتبة عليه وهذا انما يحصل بكثرة التمرين والاستعمال اما مجرد فهم مباحثه ومعرفتها فقد لايفيد الا من جهة انها مباحث معقولة تورث تنور الفكر

نسبة المنطق للفكر كنسبة النحو للتكلم هذا يقوم المعقول وذاك يقوم الالسنة . وكما ان مجرد معرفة مسائل النحو لاتفيد فائدة ما ما لم تلاحظ المرات العديدة في النطق حتى تصير ملكة يسهل معها التكلم بالعربية وقرائتها فكذلك مجرد معرفة مسائل المنطق لاتفيد ما لم يكثر الانسان من ملاحظته في افكاره حتي يصير ذلك ملكة له

و يفارق المنطق النحو بان مسائله معقولة قابلة للتوسع والتعليل وهما فيهما يفيدان فائدة عظمى من جهة تقوية العقل واستخراج نفائس المعقول وخواصه

ولكن مما يوجب الاسف ان علماءنا اليوم يسلكون فيه نقيض المطلوب . فهم اولا يكتفون فيه بمجرد معرفة المسائل من غير استعمالها وقد تغالوا في ذلك الى حد جعلهم يقتصرون على امثلة خاصة مفردة يتلقاها الطالب عن المعلم ولا يتعداها الجميع

ثم هم ثانياً ياخذونها مأخذ المنقول ولا يتوسعون فيها التوسع المطلوب وقد لاتتفطن افكارهم لعلة الحصر او سبب الاشتراط او كيفية الانتاج وسره وغير ذلك من الاشياء المفيدة المنورة للعقل

هذا في حين انهم ياخذون النحو مثلاً وهو من العلوم التي لامجال للعقل فيها مأخذ المعقول و يتوسعون فيها توسعاً مضراً غير مفيد ويكثرون من العلل التافهة المفسدة للفكر والمباحث العقيمه التي لافائدة لها الا الضياع والتشويش وهذا لعمري تناقض غريب وما هو الا كرجل يعدو بجواده داخل المدن في الحارات الضيقة المزدحمة فاذا ما خرج الى الفضاء مشى الهوينا وابطاء في المسير

علم الدعوه الاسلامية

كان المتقدمون يجعلون ما يختص باثبات الرساله المحمدية مسئلة من مسائل علم التوحيد يوجزون المقال فيها و يستدلون على صدق الرساله بانه ادعى النبوة والرسالة وظهرت على يديه المعجزة وهي القرآن ثم يفيضون في ان دلالة المعجزة عقلية او عادية الخ اما اليوم وقد توسع اعدائنا في الطعن على الاسلام ولفقوا من الشبه والمفتريات ما ملىء الاسفار الكبار وتفننوا في الاستدلال على بطلان الاسلام واوجدوا من الاساليب والمطاعن ما لم يكن معهوداً من قبل وحملوا على المسلمين حملة شديدة منكرة فقد وجب افراد هذا

الموضوع وجعله علماً مستقلاً تستنبط فيه الادلة المتنوعة وتفند فيه الشبه بطرق معقولة مناسبة لمعارف الناس اليوم واحوالهم

اعمل اعدائنا الفكر وسهروا الليالي في استنباط الادلة التي يرونها معضدة لهم والاساليب التي يمكنهم بها اقناع الناس واوجدوا شبهاً كثيرة ربما يشتبه حالها على اكثر البسطاء (لايسع المقام تفصيلها) ونحن نائمون لاهون معرضون عن هذا كل الاعراض كأنه ليس من الامور الدينية التي يجب الاشتغال بها

اليس من النقص الفاضح والعار الكبير ان يدرس دعاة النصرانية القرآن وكتب التفسير والحديث والسير الخ ليجدوا منها مغمزاً او باباً يدخلون منه على الحط من كرامة الدين الاسلامي وان يستشهدوا في سبيل تأييد آرائهم بالاحاديث والآيات القرآنية والوقائع التاريخية (وان كان استشهاداً مقلوباً) في حين اننا نرى مما يقرب من الكفر لمس كتبهم بايدينا فضلاً عن اقتنائها ومطالعتها وتأمل ما جاء فيها

اليس من العار ان توجد مدارس دينية كبرى تحوي الالوف المؤلفه من العلماء والطلاب ولا يوجد لها اثر ما في حماية الدين

ونصرته والدفاع عنه بشيء معقول مؤثر على الناس اليوم

اليس من العار على علمائنا ان يوجد في باعة الكتب وآحاد الناس من يحسن ذلك ويعتني به دونهم. اليس من العار على علمائنا ان يفنوا اعمارهم ويجهدوا انفسهم في تحقيقات وهميه فارغه عاريه عن الفائدة بالمرة و يهملوا مثل هذا الواجب الجليل الذي يتعلق باصل الدين ورأسه

ماذا يكون حال علمائنا اذا التقى احدهم ببعض الدعاة للنصرانيه الذين يحفظون من الشبه والتمويهات ما لايخطر ببالنا في محفل حافل وجرى بينهما جدال (بالتي هي احسن) افلا يكون عجز علمائنا وظهور المخصم عليهم (في ظاهر الامر) من اكبر النقائص التي ربما دعت الى تشكك بعض المسلمين

من هو القائم الآن من علمائنا بالدعوة الى الاسلام من طريق الاقناع والبرهان . بل من ذا الذي يمكنه ان يدعو و يقنع و يعرف كيف تكون الدعوة

للدعوة طرق واساليب بعيدة عن علمائنا اليوم بصورتها و مادتها

ايظن بعض علمائنا ان الدعوة الى الاسلام تكون بنحو (يارجل اسلم . الاسلام حق . دين النصرانيه منسوخ) ونحو ذلك من العبارات التي لاتفيد الا الازدراء والتحقير

ان قلب العادات والاديان وتحويل الناس عنها ورثوه عن آبائهم ليس بالامر السهل كما انه ليس بمحال

انا لا ابالي ان اقول ان اكثر علمائنا اليوم لايدري كيف يدعو الى دينه بل ولا يخطر له ذلك على بال

ان طرق دعوة النصرانى غير طرق دعوة اليهودي غير طرق دعوة الوثنى غير طرق دعوة المجوسي ودعوة الشرقى غير دعوة الغربي ودعوة المتوحش غير دعوة المتمدن ودعوة الزكي غير دعوة البليد الخ الخ ومن ذا الذي يمكنه ان يحسن بعض هذه الطرق اليوم من علمائنا

اذا لم نرد ان نقوم بهذا الواجب الاقدس خوفاً من الله وتقرباً منه افلا ينبغي ان ناخذنا الحمية الفطرية (والانسان مفطور على حب الدعوة الى دينه) والا تاخذنا الغيره من غيرنا والا نفعل ما يرقينا بين الناس ويذهب عنا مسئولية التقصير

يندهش الافرنج من سرعة انتشار الدين الاسلامي ولكن على يد من هذا يكون على يد التجار واحاد الناس الذين يتجولون فى الاقطار لاعلى يد ساداتنا وكبرائنا العلماء الاعلام

لو كان للعلماء عمل ما في اتقان واجب الدعوة وطريقها ونشر ذلك بين افراد الامة لعاد عليهم شيء من المدح والاعتراف باداء الواجب بازاء هذا الانتشار وان لم يباشروه بانفسهم ولكن كيف ولا عمل لهم في ذلك اصلاً وكيف يجوز لهم ان يفتخروا بمثل هذا التقدم الذي ينبغي ان يكون سرورهم به مقروناً بالخجل

اذا كان هذا حال الاسلام في الانتشار والتقدم والمكلفون بهذه الاعمال كسالى لاهون فكيف يكون الحال لو قاموا بها حق القيام اليس ذلك مما يضاعف المسئولية عليهم. انا لااريد من علمائنا ان يجاروا دعاة النصرانية في طيشهم ورعونتهم وافعالهم القبيحة المخلة بالآداب وانما اريد ان يكونوا على بينة من الامر وان يقوموا بالعمل اللائق المقبول عند العقلاء

قد يكون من الحماقة والجهل الاعتذار عن هذا الاهمال بان الدعوة الآن لاتفيد لان هذا عذر لايقبل بحال فقد دلتنا اعمال

الانسان واقتداره الفائق على انه ليس هناك شيء بعيد على الفكر الجيد المصحوب بالثبات وان الانسان متى جد واجتهد واستعمل قواه العاقلة واستخدمها كما ينبغي واستخرج ثمراتها وكنوزها نال فوق ما يتمناه. وعلى فرض ان هذه الدعوة لاتفيد مع فريق من الناس فلا جرم انها تفيد مع غيرهم والحوادث الكثيرة اصدق دليل على هذا. وعلى فرض انها لاتفيد اصلاً فذلك لايمنع من وجوبها اذ لاعذر الا بعد فعل المقدور وانما علينا البلاغ والدعوة الى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي احسن ونحن لانهدى من احببنا ولكن الله يهدي من يشاء

وقد يكون من أكبر التفريط والخطاء الفاحش التفاخر بثبات عقائد المسلمين بازاء ما يأتيه دعاة النصرانية من الاعمال فان هذا ان صح ان يقوله احد فليكن غير العلماء الذين يجب عليهم ان لايتكلوا على مثل ذلك وان يبذلوا قصارى الجهد في الدفاع وحماية العقائد وتوطيد دعائمها بما يأتون به من جليل الاعمال

فلهذا ارى وجوب ايجاد علم جديد باسم (علم الدعوة الاسلامية) تكون غايته اثبات صحة الدين الاسلامي بايراد الادلة يدفع

الشبه على حسب ما يوافق الناس اليوم ويناسب مشاربهم ودرجة معارفهم وان يتوسع فى هذا العلم بقدر ما يمكن و يبذل فيه منتهى الجد والعناية والاختراع والاكتشاف وان يكون من اهم ما يبني عليه ذلك العلم الاطلاع على كتب الديانات الاخرى و بحثها بحثاً دقيقاً ومعرفة دقائقها وحقائقها بالتفصيل الكافي والاطلاع على ما كتبه علمائنا الاولون وغيرهم فى هذا الموضوع ككتاب اظهار الحق وما في كتاب الملل والنحل لابن حزم والله خير موفق ومعين

علم تهذيب الاخلاق

حاجة العلماء والطلاب الى هذا العلم لاتخفى اولاً لغرض تعديل اخلاقهم وتقويمها ورفع هممهم عن الدناءة واتصافهم بالفضائل ومعرفتهم كمال الانسان من حيث هو انسان وثانياً لغرض اعدادهم لان يكونوا هداة مرشدين داعين الامة الى فضائل الاخلاق ومحاسن الشيم

اذا كانت العلوم تشرف بشرف غاياتها وآثارها فان هذا العلم من افضل العلوم واعلاها قدرا واحقها بالرعاية والالتفات والعناية خصوصاً من العلماء وطلاب العلم لانه يتعلق بترقية النوع الانسانى

وبلوغه اوج الكمال فيما يتعلق بشؤون المعاش والمعاد . علم يدعو الى الابتعاد عن الشرور والمفاسد والاقتراب من الخيرات والمصالح علم يدعو للتقدم ويرسم للانسان طريق الخير والسعادة . ان الامة التي لاتروج بضاعة علم الاخلاق في اسواقها جديرة ان تكون احط الامم واخسها وان تكون رهينة الذل والنقص حليفة الاحتقار والصغار

لو كان علمائنا من اهل الكمال في الاخلاق لطالبناهم بالاشتغال بهذا العلم والتوسع فيه والتفنن واظهاره بالصور المناسبة لعقول الناس ومعارفهم واحوالهم وعاداتهم فكيف وحالنا في ذلك معلوم مشهور

اعتنى علمائنا الاولون وغيرهم من الحكماء السابقين بهذا العلم النفيس وتفننوا فيه وابرزوه في صور مختلفة تناسب احوال الاطفال والرجال واهل الجمود والمتنورين فكانوا مرة يجرونه على السنة البهائم واخرى على السنة الطيور ومرة يصيغونه في حكاية خرافية ومرة في الاشعار واخرى في جمل نثرية عربية او عامية وتارة في مباحث فلسفية او فصول دينية وقد تابعهم الغربيون في ذلك

وكان من اهم ما اعتنوا به في ذلك امر الروايات والتمثيل لان ميل النفوس اليها اكثر وتاثيرها اشد . افبعد هذا يجوز ان نترك هذا العلم النفيس و يشتغل موءلفونا وعلمائنا بان ان زيدا اخطأ في زيادة كلة وعمرا اخطأ في نقص اخرى الى غير ذلك من المشاغبات التي لاتجدي نفعاً

لو اشتغل علمائنا بعلم الاخلاق لوجد في انفسهم من الراحة الروحانية ما يحقق لهم معنى السعادة وان كانوا في فقر او احتقار من الناس او نحو ذلك من النقائص الحسية التي ثقلت كاهلنا

لو اشتغل علماءنا بالاخلاق لكفى بعضهم شر بعض وكفوا شر الناس وكفي الناس شرهم ورأوا ما يقر اعينهم من انواع التبجيل والاحترام المحبوب للانسان بالطبع

ليس كل عالم يمكنه ان يقرأ علم الاخلاف ولا ان يوجد الاثر المطلوب لان ذلك صناعة اخرى غير قراءة ساير العلوم تحتاج لان يكون الانسان كاملاً في خلقه وفعله موثراً في عبارته حسناً في فراسته قوياً فى بصيرته زكياً في فكره مقتدراً متصرفاً الى آخر ما سيأتي في لوازم الارشاد ولكني مع هذا ارى وجوب

اشتغال علمائنا به تعلماً وتعليماً وما لايدرك كله لايترك كله وكل صغير ينمو مع العناية ثم هو وان لم يحتج الى درس خاص به وامكن اعطاءه في كل الاحوال الا اني ارى ان يعمم اعطاؤه ثم تفرد له دروس خاصة يكون موضوعها دراسة نحو كتاب(تهذيب الاخلاق) لابن مسكويه والله خير موفق ومعين

علم التصوف

لااريد من التصوف تلك الالغاز والمعميات والطلاسم من كلام بعض الصوفية في حقائق الموجودات والالهيات والمقامات وسايرما يتعلق بالمكاشفات كما جاء عن ابن العربي وغيره فذلك ان كان وهمياً خيالياً فظاهر وان كان حقيقياً فلا اري ان ينشر ويصرح به ويودع كتباً فضلاً عن ان يدرس ويلقى في المدارس لانه فوق طور العقل الانساني بالمرة فلا يليق ان يلقى الا لمن يعرفه ويتاهل له. ونشره بين الناس مضر غاية الضرر لانه فضلاً عن غموضه فان عباراته قد تدل بحسب ظاهرها على شيء غير المراد ولا يجوز ان يراد وذلك لان من اصعب الاشياء التعبير

عن الوجدانيات . ولا اريد خصوص ما يتعلق بالاصطلاحات والرسوم التي وجدت في التصوف ومنها تنوعت الطرق واختلفت العادات والاحوال عند من ينتسبون الى التصوف

وانما اريد على الجملة جميع ما يتعلق بمحاسبة النفس ومجاهدتها في منازعها الشهوانية والبحث عن احوالها وتصفيتها حتى يحصل لها الوجدان الروحاني العالي والذوق النوراني الشريف وهذا كما تجد في كتب الغزالي والقشيري وامثالها من الكلام على المنجيات والمهلكات وغير ذلك . وتالله ان الانسان ليعجب ويندهش حينما يرى رجال الدين اليوم ينقسمون الى قسمين رجال علم ورجال طريق او (فقهاء وصوفية) ثم يرى اكثر الصوفية او المتصوفين من الغباوة والجهل والدناءة بالقرار المكين وهم مع ذلك بيدهم مفاتيح قلوب الامة وهم اصحاب السلطان الاعلى والكلمة التي لاترد عند الجمهور بل وفي داخليتهم الخصوصية وقد بنوا هياكل وسجونا وصنعوا اغلالا وقيودا وعملوا شباكا ومصائد من الاوهام والتأثيرات والخرافات بالنسبة للعامة (وهم جمهور الناس) وادخلوا في الدين ما ليس منه واخرجوا منه بعضه بسبب جهلهم الكثير . ويرى اكثر القائمين

بالعلم قد وقفوا عند حد التصور او التصديق بالاحكام الشرعية العملية دون ما يتعلق بالاخلاق الدينية وتصفية النفس واحوال القلوب وتعميرها بالانوار القدسية والاسرار الروحانية ولم يزجوا بانفسهم في ميدان العمل ايضاً كانهم اعتقدوا انهم بما تصوروا من كتب الفقة والتوحيد قد امكنهم ان يتصوروا الكمال الاسلامي و يتحققوا بالغاية التي يدعو اليها الاسلام وانه ما على ما علموا من مزيد وان الكمال في العلم يغني عن الاشتغال بالعمل

مع ان الحقيقة انه لايجوز التفريق بين قسمي العلم الاسلامي (ما يتعلق بالاعمال الظاهرة وما يتعلق بالاحوال الباطنة) ولا التفريق بينهما و بين العمل ولا يصح ان يكون هناك من رجال الدين من تكون غايتهم ان يعلموا من غير ان يعملوا ولا من يكون الكمال عندهم في ان يعملوا بجهالة من غير ان يعلموا ولا يجوز في الاسلام ان يكون هناك شيء اسمه (فقهاء) وآخر اسمه (صوفية) وما دام كلاهما ممتازاً عن الآخر ولهذا رئاسة ولذاك أخرى فالدين في خطر والحال فى وبال بل الواجب ان يكون الفقهاء هم الصوفية والصوفية هم الفقهاء وان يكون

العلماء هم رجال العمل وأئمة الارشاد او بعبارة متعارفة (مشايخ الطرق) وان يكونوا هم اصحاب السلطان الاعلى والكلمة المسموعة والنفوذ التام عند العامه لكي يمكنهم ان يهدوهم الى طريق الحق ومناهج الصدق وليخرجوهم من تلك الظلمات التي يوقعهم فيها اكثر مشايخ الطرق بما لهم من التأثير الاعتقادي ولا يجوز ابدا ان تترك الامة في جهل شديد وانحراف تتقاذفها امواج الشهوات واخلاق الامم المتغلبة و يتحكم فيها هؤلاء الجهلة باسم الدين والتصوف كما انه لايجوز الاعتقاد بانه لاشيء هناك فوق ما يعلم من الفقه والتوحيد بل وما يصل اليه العقل الانساني من الكمال الاسلامي وجحد التصوف وما عليه الصوفية كلية

بل الحق ان هناك نوعاً من الكمال الاسلامي هو اعلى سائر انواع الكمال ومنتهى مراتبه لايصل اليه الانسان من طريق العقل بل من طريق الذوق وتصفية النفس والانتشال من اوحال الطبيعة بمجاهدة النفس والاشتغال بانواع الرياضة والعبادة وان المؤمن لا يكمل حقاً ويقال انه وصل الى الغايه التي يدعو اليها الدين الا اذا حصل عنده هذا الذوق وعمر قلبه بالانوار الالهيه والاسرار

القدسيه واقترب من الملاء الاعلى وكان من اهل البصائر العاليه والعلوم الذوقيه الخافيه فذلك هو لب الدين واكثر مقصده ولا بد للمؤمن منه والعالم احوج الناس اليه فهكذا كان رسول الله وكان خير اصحابه واهل الطبقه العليا من المسلمين ولا شك ان هذا غايه علم التصوف نعم انا لا انكر ان حصول هذه الغايه كما ينبغي صعب وان النفس في وجداناتها يعارضها الوهم كما يعارض العقل في ادراكه وانها بصفاتها العجيبه ربما تتمثل لها الحقائق في صور شتى ومن اجل هذا كان حصول غايه التصوف عند بعض المشتغلين به على عكس المطلوب ووقع كثير منهم في اشياء كانوا بها من المتغالين المجاوزين حدود الاعتدال ولكن ذلك كله لا ينقص من اهمية الغايه الاصليه التي يدعو اليها التصوف ولا يكون مانعاً من وجوب الاشتغال والتحقق به على وجه مقبول معتدل كما ان جنوح النقل في كثير من مدركاته ووجود فرق كثيرة من اهل النظر قد ضلوا سواء السبيل في نحو علم التوحيد لايكون مانعاً من وجوب الاشتغال به

انا لااريد ان يكون العلماء كهؤلاء المسمون (متصوفه) في

مخيلتنا ممن تركوا الدنيا بأسرها وسائر المصالح العامة واقتصروا على التصوف وعكفوا عليه مع اهمال كثير مما يجب على المسلم القيام به من شؤون هذه الحياة ومع الجهل بكثير من العلوم العقلية والنقلية التي يجب تعلمها ولا اريد ان يكونوا على الاحوال والصفات التي عليها (مشايخ الطرق) الآن الموجبة للازدراء والتحقير ولا اريد ان يتجاوزوا فيه الحد ويخرجوا الى طور الشطح ولا ان يكونوا كابن العربي وامثاله بل اريد ان يشتغلوا به على الوجه الذى تحصل لهم تلك الملكات الروحانية العالية والانوار السامية ويحصل لهم ذلك الذوق الصحيح فيكونوا من امثال ابي حامد الغزالي حيث شرب من الحوضين وتناول بالكأسين واريد ان لايكون احتقار كلمة (صوفية وتصوف وطريق وعهد وفقراء) ونحو ذلك سداً مانعاً يحجبهم عن تلك الغاية السامية النفيسة فان الدره اذا كانت في عذره وجب اخذها منها وتنظيفها والانتفاع بها ولا اتحاشى ان اقول ان من لم يشتغل بالتصوف على هذا المعني ليحصل هذا القدر لم يذق طعم الدين ولم يصل الى شيء من حقائقه الروحانيه التي هي المقصود الاصلي وبها الكمال الانساني وان

من اقتصر على هذه الاحوال والعلوم المألوفة عندنا اليوم فهو واقف مع القشر ولم يصل الى اللب اصلاً

على ان هذا النوع من الكمال الوجداني الروحاني كان معروفاً عند الفلاسفة قبل الاسلام وكانوا يجدّون في تحصيله ويجاهدون غاية المجاهدة ويحصلون به على الفضيلة الذاتيه ويصلون من العلوم الحقيقية والاسرار الغامضة الى ما يستحيل الوصول اليه من طريق العقل ولذا خفيت اكثر عباراتهم على اهل النظر المجرد

ومن هذا فاني ارى وجوب الاشتغال بعلم التصوف على النحو الذي تقدم بيانه ثم السعي في التحقيق بمضمونه فان مجرد علمه كعلم الفقه لايفيد بدون العمل وافضل ما يتلقى عنهم هذا تلقياً يؤثر في النفس ويحمل على العمل هم من يكونون متصفين به (وان لم يعرفوا من الفقه وغيره الا بقدر ما تمس اليه الحاجه) ولكن تلقيه على اي حال مفيد

ولهذا الموضوع بقية كبرى ربما اتينا بها في فرصة اخرى والله هو الهادي الى الصراط المستقيم

علم القرآآت

علم القرآآت يتعلق بعماد الدين واساسه وهو القرآن ولا جرم انه بذلك ينبغي ان يكون من اشرف العلوم الدينية التي يتفاضل بها العلماء اذ حفظ القرآن والمحافظه عليه بطرقه السبع المتواترة من الامور المهمه التي يجب ان يعتنى بها

ولكن ذلك اليوم منبوذ عند العلماء حتي انه لافضلية لمن يعلمه على من لايعلمه وموكول امره الى (الفقهاء) وهؤلاء لارابط لهم ولا نظام ولا ضمان لوجودهم وقد ينقرضون بسبب عدم اقبال الناس على التعلم هذا فضلاً عن ان ذلك العلم لايعلّم الآن الا باجر (ولو كان المعلم من العلماء) وذلك نقص وتضييق لايجوزان

فمن هذا ارى ان هذا العلم وان لم تحتم معرفته على كل عالم فلا بد من اعتباره مميزاً من اهم المميزات التي يقع بها التفاضل وان من يعلمه من العلماء فعليه ان يقرأه في درس عام كباقي الدروس والا لم يكن له به ادنى امتياز

ولهذه المناسبة فاني اذكر ان اعتناء العلماء بحفظ كتاب الله قليل جداً وكثير منهم نسيه وقد لايخطر بباله ان يتلوه ليحفظه

وهذا من اعظم النقائص التي يجب على العلماء ان يكونوا اشد الناس حفظاً للقرآن واستحضاراً لآياته كي يستشهدوا بها عند الدواعي ويذكروا منها في كل موضع ما يناسبه ويطبقوها على جميع الشؤون

ولقد صنعت ادارة الازهر خيرا جزيلا حيث اشترطت حفظ نصف القرآن على من يريد ان يلحق بطلاب العلم ولو اشترطت حفظه كله لكان اولى

على ان من ما يوجب الاسف ان بعض اللجان الموكول الى عهدتها اختبار الطالبين في القرآن كثيرة الاهمال مع ان هذا يترتب عليه ضرر كثير نسأل الله تعالى ان يوفقنا الى ما فيه الخير والنجاح

التاريخ

لا يجهل قدر التاريخ الا جامد لا يعرف من اين يستفيد وينمي عقله ويوسع مجال نظره ولا كيف يصل الى كنه الحقائق ولا يخطيء في اصابة الرمى ولا يغتر بظواهر الامور ولا كيف يجد السبيل الى معرفة المستقبل المجهول ويعلي همته عظة واعتباراً ويعمر قلبه بالوجدان الشريف الى غير ذلك مما لا يجهل قدره الا

من يجهل ذلك لانه تلك هي بعض فوائده وثمراته و كيفيه
لا ومن المعلوم ان اكثر ما يفيد كمال العقل التجارب والتاريخ
هو العلم الذي يعطيك من التجارب كما يكون لمن عاش منذ بدء
الدنيا الى اليوم الذي انت فيه. يمر بك على الامم حتى كانك
معهم وياخذ بيدك الى الممالك حاضرها وباديها حتى كانك فيها
و يشهدك الحوادث والمناظر الغابرة التي حصلت في اكثر من
ستة الآف سنة و يطلعك على ما لو كنت فى زمنه ما استطعت
الوصول اليه من دقائق السياسة وما كان يجري في قصور الملوك .
يعطيك علم التاريخ هذا واكثر منه ولكن لا فى مثل ما يلزم
لذلك من المدة ولا نصفه ولا سدسه ولا عشره ولا واحداً من
الف بل في بضعة شهور او سنة على الاكثر. يعطيك هذا وقد لايحتاج
منك الى معلم ان كنت ذا فكر ثاقب واستنتاج صحيح ولا يطلب
منك الا الالتفات اليه لكي يمنحك هذه العطايا الجليلة والكنوز
الثمينة الغالية

للتاريخ فائدة هائلة قد لا يعرفها الا من قرأ التاريخ او رأى
اعمال وافكار من قرأوا التاريخ فانه يرقي الفكر الي درجة عظمى

ويؤثر في الاخلاق تأثيراً لايمكن ان يصل اليه الانسان من دونه ويرقى العقل اكثر مما يتصور . وشيء يحضر بين يديك العصر الخالية والامم البائدة والممالك السحيقة باعمالها وعاداتها واخلاقها ومدنيتها وحسناتها وسياستها ويمثل الحوادث بين يديك كلها لتاخذ منها خلاصة المستحسنات وتبتعد عنها عداها لجدير ان تكون له اعظم فائدة

حسبك في هذا ايضاً كتاب الله الذي اتي على شيء كثير من تواريخ الامم وحث على التأمل في احوال البائد منها لغرض الاعتبار والموعظة

ولكن من المحزن اننا نجهل تاريخ كل شيء حتى تاريخ انفسنا . . . وقد لايكون للتاريخ عندنا حظ الا ان اصله توريخ او تأريخ . . .

قلت نجهل تاريخ انفسنا وهو حق لاننا نجهل تاريخ وطننا وعنصرنا ودولتنا الحاكمة علينا ولا نعلم من هذا ما يعلم غيرنا عنا . نجهل تاريخ ملتنا وكيف ظهرت . نجهل تاريخ مذاهبنا وكيف نشأت . نجهل تاريخ الامة الاسلامية والاطوار التي تقلبت فيها

وكيف تشتتت وتمزقت كل ممزق وما هي اسباب ذلك (كما اننا لانعلم الآن في اي البقاع هي ومن يحكمها وما هو حالها للجهل بالجغرافيا) هذا فضلاً عن ان نعرف غير ذلك من انواع التاريخ · واي نقص بعد هذا النقص واي عيب بعد هذا العيب

لو كان هذا العلم من المستصعبات لكان في ذلك بعض العذر ولكنه في الحقيقة علم سهل · علم اوقات الفراغ · علم يصح ان يؤخذ مأخذ الراحه من عناء التفكر فى العلوم الاخرى · علم يكفى الانسان ان ينظر اليه نظرة قبل نومه وهو مستلق على فراشه · اذاً فليس من مانع يمنع عنه الا مجرد الكسل وعدم التنبه وعدم الاحساس بالنقص المخزي وفقدان ملكة حب الكمال من وجهه الحقيقي

من التاريخ تاريخ اطوار النابغين في العلوم والمعارف والمخترعين والمكتشفين والمؤثرين في ترقية الامم والفاتحين والملوك المجددين للدول الخ الخ وقراءة مثل هذا يبعث في النفس نشاطاً شديداً ويحمل على الجدوالعناية والترقي ويجدد في الانسان

حب الكمال والوصول الى اعلى مناصب الرفعة من اوجهها الحقيقيه الممكنه ويعلم الانسان الثبات ومصارعة الايام وذلك اهم ما يتوقف عليه التقدم

ومن التاريخ ايضاً تاريخ الملل والمذاهب والآراء وهو من اهم ما ينبغي ان يعنى العلماء بل قد يكون من خصائصهم

وهنا استلفت الانظار الى انه لولا التاريخ ما امكن فضيلة استاذنا الشيخ محمد عبده ان يأتي بكتابيه الجليلين (الرد على هانوتو) و (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) على النمط الحسن المفحم الذي جرى عليه فيهما ولا ان يذب عن الاسلام ويدافع عنه بما يقبله ويشهد بمتانته كل انسان

فلهذا ولغيره اري من الواجب على العلماء وطلاب العلم دراسة التاريخ والاعتناء به والاستفادة منه وان يكون عندهم بالمنزلة التي ينبغي ان تكون لعلم مثله والله هو الهادي والمعين

الجغرافيا

الجغرافيا هو العلم الذي يشوف اليه كل انسان بطبيعته وهو الذي يتساءل كل الناس (عوامهم والعلماء) عن مسائله بحوثهم

اين الهند واين الصين واين اوربا واين اليابان

هو العلم الذي يوجبه حق الاخاء والاتحاد والتعاون بين المسلمين المنتشرين في بقاع الارض اذ من اللازم ان يعرف المسلم فضلاً عن العالم ما هي الاماكن التي يتوطنها المسلمون وكم عددهم وما هي كيفية معاشهم وما هي الحكومات الحاكمة عليهم الى غير ذلك وكل هذا لايمكن ان يعرف الا من الجغرافيا

الجغرافيا هو العلم اللازم لكل من يغار على دينه ويهمه انتشاره في بقاع الارض ليعرف ما يمكن نشره فيها وما لايمكن كما يعرف القسس ان اواسط افريقيا مثلاً وان صعبت مسالكها كما هو مبين في الجغرافيا ولكن من السهل نشر المسيحية فيها لان اهلها متوحشون على غير دين او على دين وثني والاكثر تابع لحكومات مسيحية فيأتون افريقيا ويتجولون فيها وهم كأهلها في العلم بها وبطبائعها قد لايحتاجون الى دليل ولا يمكن ان يغرر بهم احد . ولكن من اين يكون لنا هذا ونحن لولا واجب الصلاة ما عرفنا اين الحجاز . واني لنا مثل هذا ونحن لانعرف بلاد المسلمين فضلاً عن غيرهم

اترى انه لولا الجغرافيا كان يمكن للعرب ان يفتتحوا الممالك وينتشروا في تلك الاقطار الواسعة

اترى انه لولا الجغرافيا كان يمكن للاوربا ويين ان يغلبوا على الشرق ويحتلوا بلاده ويحتكروا خيره ويضعفوا تلك القوى الاسلامية الهائلة بل يعدموها حتى انهم يقاسون اشد المتاعب ويرتكبون الاهوال ويخاطرون بانفسهم في السياحة لمجرد وصف البلاد وبيان مواقعها وطرقها وعادات اهلها ودياناتهم الخ الخ

الجغرافيا دليل السياحة في الارض والسياحة رأس النجاح وداعية الكمال واس الفضائل وكم مرة حث القرآن عليها بنحو قل سيروا او لم يسيروا الخ الخ . ولكن نحن ما اجهلنا بحاضرنا وبادينا وما اشد تقصيرنا في اداء الواجب . لمَ لانتعلم الجغرافيا فنعلم مواقع البلاد وما هي عليه . لمَ لانتعلم الجغرافيا ونسير في الارض ونسافر في طلب المعالي . لمَ لانتبع سبيل اجدادنا الذين كانوا يسافرون الشهور لمسئلة واحدة من العلم . اليس من العيب ان لانعرف موقع عاصمة دولتنا العلية . لمَ لانعرف البلدان ونكثر من السفر الى الهند ليشد بعضنا ازر بعض والى الصين لنقوي

اخواننا هناك والى العجم لنزيل سوء التفاهم الديني بين الامتين ونزيل هذا التباغض والعداء الحاصل لاسباب واهية . لم لانذهب الى مراكش دعاة الي الاصلاح والنظام والتقدم والمحافظة على الاستقلال بتعميم العلم والتربية مبينين ان الدين لايخالف كثيراً من محدثات الافرنج. لم لانذهب الى بلاد العرب حيث الامم البدوية لنرقي من عقولهم ونقوم من اخلاقهم . بل لم لانسافر الي اوربا اوقف الناس هناك على حقائق الدين الاسلامي بالاسلوب الحسن ونجاهد في الله ذلك الجهاد العلمي الذي لاتسيل فيه الدماء ونزيل تلك الاكاذيب التي يشيعها بعض روساء النصرانية عن الاسلام واهله

وكل هذه الواجبات لاتتم للانسان وتسهل عليه الا بعلم (الجغرافيا)ذلك العلم البسيط الضروري الذي انتشر وصار يعلمه سائر الناس حتي صغار المكاتب ولا يجهله الا نحن ورعاة الغنم. هب اننا لانحب ان نعلمه لامثال هذه الثمرات التي قدمتها اليس الجهل به الآن يعد عيباً عظيماً ويحط من قدر الانسان مهما كان كعبه عالياً في العلم او الورع

ولا بأس ان اذكر هنا حادثة شممتها علها تؤثر في اكابر علمائنا وهي ان فضيلة الشيخ عبد الكريم سلمان توجه مع احد افاضل جبل لبنان لزيارة فضيلة المرحوم الشيخ الانبابي فلما استقروا قام حضرة الشيخ عبد الكريم بواجب التعريف وان هذا الزائر من جبل لبنان فسأل المرحوم او احد الاكابر في مجلسه اين جبل لبنان فاشمئزت نفس الزائر وقال بعد انصرافه لقد اضعت خطواتي

ففضيلة المرحوم علمه لاينكر وفضله اشهر من ان يذكر وعلم الجغرافيا لم يكن ليأخذ منه اكثر من شهر وكذا غيره من اكابر العلماء ولكن انظر كيف ادى التهاون بالصغائر الى الحط من قدر الاكابر

افبعد هذا يليق ان نجهل هذا العلم فنحل اولا بالواجب الديني وثانيا بالواجب الادبي وثالثا بالواجب المادي الذي من اهم اسبابه السياحة التي لاتتم الا بالجغرافيا

يقول جمهور العلماء والطلاب ان الجغرافيا من العلوم (الاجنبية) (ومن قبل ولا يزال بعضهم يسمي نحو المنطق والبيان (العلوم البرانية) وينظرون الى هذا العلم كما ينظر الى الاشياء الداعية الى

التفرنج والتي تعد من مقدمات الانسلاخ عن الدين ولهذا فقد قابلوا تقرير تعليم الطلاب علم الجغرافيا بالسخط التام وعدوا ذلك من المصائب التي تدل على اننا في آخر الاعصار التي تتوارد فيها المنذرات بضعف الدين وانحطاطه . ولكن لو نظرنا بعين التبصر لم نجد في الجغرافيا اجنبياً الا كلمة (جغرافيا) وان كل ذلك من فعل الاوهام والجمود الذي احاط بنا فان عدم تداول الشيء بيننا او بين آبائنا مثلاً لايكون دليلاً على بطلانه ومنابذته للدين . ووجود اقوام يأخذون مثل هذا العلم لخاصة التقليد الاعمى لايمنع كونه حسناً في ذاته ينبغي ان يؤخذ لما فيه من المنافع لا لمجرد التقليد والتفرنج وخلع القديم من حيث هو قديم واخذ الجديد من حيث هو جديد

فلهذا ارى انه لابد للعلماء الذين لايعلمون هذا العلم ان يتعلموه ويعلمون انه يكفي له اوقات قليلة من اوقات الفراغ وانه علم يؤخذ مأخذ التسلية والاستراحة من الاشتغال بتحقيق مسائل البلاغة والمنطق والكلام

اللغات الاجنبية

مما اراه واجباً على العلماء تعلم اللغات الاجنبية فانهم نواب عن سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعوة والتبليغ وكيف يمكن تبليغ تلك الامم الكثيرة التي لاتعرف العربية وايقافها على حقائق الدين الاسلامي اذا لم يكن حملة الدين عارفين بلغاتها واساليب تلك اللغات وآدابها ليمكنهم ان يصوروا لهم المعاني المطلوبة بصور مؤثرة

يكاد يكون اختلاف اللغات اختلافاً نوعياً ذاتياً لانه يوجد من الوحشة وعدم الائتلاف اكثر مما يكون بين نوع وآخر وبسببه لايمكن لاحد الطرفين ان يشارك الآخر في ما يحس به وفيما يخالطه من الوجدانات والآراء والافكار والاميال بل قد يوقع في سوء تفاهم وتعاند من غير ان يكون هناك ما يوجب ذلك وقد يفهم احد الطرفين في الآخر الخسة والدناءة وسوء القصد و.و.و.الخ من غير ان يكون هناك تحقق لشيء من ذلك . ولا مثال لهذا اكثر مما بين الامم الاسلامية

و بين الافرنج

ولو كنا نعلم اللغات الاخري لزال اكثر ذلك ولأمكن لعلمائنا ان يقنعوا سواهم بمزايا الدين وفضائله

هؤلاء القسس والمبشرون بالدين المسيحي يجاهدون اشد الجهاد و يقاسون اشد المتاعب في تعلم اللغه العربية لكي ينشروا بواسطتها الدعوة الى المسيحية بين المسلمين ثم هم يجازفون بارواحهم في سلوك الصحارى والقفار واقتحام اشد الاخطار و يغادرون بسطة العيش ولذة الراحة والترف في بلادهم طمعاً في تنصير واحد من المسلمين او غيرهم . افلا يكون لنا من ذلك عظة والا يكفينا هذا تنبيهاً على اداء الواجب

يحرف دعاة النصرانية كلام الله (القرآن) عن مواضعه و يترجمونه تراجم فاسدة و يفترون على رسول الله الكذب و يصفون من الاحوال المفتراة على رسول الله وعلى اصحابه ما يمثل الاسلام والنبي واصحابه اشنع تمثيل واقبحه كي يوغروا صدور تلك الامم علينا ويملأوها بغضاً و كراهة واحتقاراً للاسلام والمسلمين ونحن لاهون غافلون كسالى عن القيام بالواجب ثم يقوم رجل من الافرنج يذب عن

الاسلام و يبين فساد ما افتروه و كذب ما ادعوه ونحن نائمون لانسمع ولا ندري شيئاً من هذا الموضوع بل و يأتي بعض المسلمين اهل الغيرة فيترجم هذا المقال باللغة العربيه ثم لايصل خبره الى اسماعنا. وهل يعلم اكثر العلماء ان في الوجود كتاب اسمه (الاسلام . خواطر وسوانح) مطبوع باللغة العربية في هذا الموضوع. كل هذا لتجنب لغات العالم مع الغفلة عنها ينشأ عن ذلك من الاضرار الجمة والقصور المعيب

لعل اكثر علمائنا لايعلمون ان بعض الاجانب كان يعلم الناس ان النبي كان شراباً للخمر يمضي ليله مع المومسات ثم يصبح مدعياً انه كان مع جبرائيل عليه السلام وانه انما موه على عقول الناس بانه اتي بحمامة وصار يضع لها حبات القمح في اذنه حتى اعتادت التقاطه منها ثم اخرجها امام الناس فكانت تأتى لتبحث عن غذائها في اذنه وهو يوهم انها جبرئيل اتي ليلقى فى اذنه كلام الله وان دين الاسلام دين وثنيه الي غير ذلك من الافك والبهتان العظيم وكانت نتيجة ذلك ان تمثل المسلمون في اعين الاجانب بهيئة المتوحشين الناقصين الاشرار

فاولاً رغبوا بالمرة عن دين الاسلام وعدوه من النقائص وثانياً ساموا المسلمين بانواع الخسف والاحتقار وكروا عليهم بخيلهم ورجلهم وامتلكوا ديارهم ومالهم . افلو كان هناك من علمائنا من اتاهم الله من الحكمة وقوة العقل والتنور وسعة الاطلاع ومعرفة لغات الامم والخبرة باساليب السياسة والارشاد والتحايل ما يليق بالعلماء اما كان في قدرته ان يخفف من حرارة هذه النار المستعرة فى الصدور ويخفض من هذه الاحقاد المتمكنة فى القلوب ويدفع عن المسلمين شر هذا الاحتقار بحسن ارشاده وفائق حكمته واقناعه وبيانه لحقائق الاسلام ومحاسنه الجمة المنطبقة على المصالح الاجتماعية والطبيعية والانسانية وشرح اسراره ومقاصده السنية . بل اما كان يرغب الكثيرون من الاجانب في اعتناق الاسلام فان تلك الامم المتعددة والجموع الكثيرة لاتخلوا ممن اذا عرف الحق اخلد اليه ولم تؤثر عليه مظاهر العادة واباطيل الاوهام

واني لاازال اقول ان العالم اذا استكمل عدته وادى وظيفة فعل ما لاتفعله الاساطيل ولا تأثر معه مدافع مكسيم وقلب كيان العالم وبدل نظام الوجود كما يشاء الله وآلته في ذلك انما هو

العقل المفكر واللسان المبين . انا لانكر ان هناك من الناس من يتعلم اللغات الاجنبية لمجرد التفرنج والمحاكاة وحب التظاهر والتحقق بصفات وعادات الافرنج مثلاً لالعلة سوى ذلك ولكن هذا لايمنع من وجوب تعلم هذه اللغات وامثالها للعلل والاغراض التي تقدم بيانها فذلك من اهم المهمات التي ينبغي ان يتنافس فيها اهل العلم والله يهدينا جميعاً الى الصراط المستقيم

الحساب

ماذا اقول في هذا العلم وهو من الضروريات الاولية واللوازم الادبية والواجبات الدينية لتعلم نحو الفرائض والقيام بفرائض شتى . علم لايستغنى عنه المتوحشون فضلاً عن غيرهم . علم ينبغي ان يتلقاه الانسان مع اول ما يتعلم . علم يقوي العقل ويورث النظر الصحيح . علم لم يتركه ساداتنا الاولون فكيف يجوز لنا مع هذا ان نتركه ونضرب صفحاً عن منافعه التي لايستغنى عنها ابداً وكيف نرضى على انفسنا هذا النقص الفاحش والخلل الواضح ولا نتعلم شيئاً ضرورياً يعلمه ويعلّمه من هو اصغر منا واحقر في نظرنا . اليس من العار الكبير ان يوجد كثير من العلماء لو سئلوا عن

عن نتيجة ضرب بعض الاعداد البسيطة لاجابوا سكوتاً اليس من العار ان يوجد بين ظهرانينا وفي مدارسنا الدينية التي نحن اساتذتها ومعلموها قوم اجانب من اساتذة المدارس الاميرية يعلّمون هذا العلم برتبات كبيرة ثم لاتأخذنا الغيرة ان نتعلمه ثم نعلمه تداركاً للنقص الظاهر افيتكبر بعض اكابرنا ان يتعلم منهم ايماً ويرضى ان يكون انقص منهم دائماً أينبغي ان يكون ظهور الانسان وعلوه في نفسه او عند الناس سبباً في تمنعه ان يتعلم ما يحقق هذا العلو. لان كانت الفضيلة عندنا بكبر العقل وسرعة الادراك وملكة الفهم فان علم الحساب افضل ما يعين على ذلك . فلهذا ارى انه لابد لم لمن يتعلم هذا العلم من العلماء والطلاب ان ان يتعلمه ولا يستنكف ان يتعلمه ممن هو اصغر منه ان لم يمكنه الاستقلال به فجزاء التقصير الخضوع للصغير على انه اولى من دوام الجهل والله الموفق والمعين

الهندسة

لايظن القارىء من وضعي لهذا الاسم ضمن ما ارى ان يعلمه الطلاب والعلماء انني اريد ان اجعلهم مهندسين وان

اجعل المدارس الدينيه تغنى او تضارع مدرسة المهندسخانة . كلا ولكني اريدان تعلم مبادئ هذا العلم واجب لتقوية العقل وتقويمه وتوسيع دائرته فلقد كان الحكماء السابقون لايقبلون من التلامذة الا النابغين في هذا العلم لنفس هذه الحكمة وايضاً فان طبيعة الجهل بشيء مما يعلمه بعض الناس يؤدي الى النقص في اعينهم والعالم من حيث هو عالم ينبغي ان يتأهل ليكون محترماً في اعين سائر الطبقات وخصوصاً اهل المدارس وذلك لايكون الا اذا كان لدى العلماء الملم بشيء من سائر ما يتعلمونه فيها . كيف لايكون من الامور اللازمه تعلم مبادىء الهندسة ولنا في كل يوم وقفة حينما ترد في الكتب التي نقرأها في نحو المنطق امثلة هندسية فلا نكاد نفهم المراد . فلذلك اوى من الكمال الواجب ان يتعلم العلماء والطلاب شيئاً من الهندسة بل شيئاً من كل علم على قدر ما تسمح به الظروف . نعم لااقول ان الهندسة كالحساب ولا كالجغرافيا ولا كالتاريخ ولكني اقول انها كمال وان منها قدر لازم والله الموفق لما فيه الخير والصواب

الانشاء

اذا كان المرء باصغريه قلبه ولسانه فلا شك ان القلم احد اللسانين بل هو افضلهما واحقهما بالعناية والاعتبار لان عمله عام دائم فعمل اللسان الاصلي من الاعراض السيالة قد لاينتفع به الا من يخالط صاحبه ويسمعه اما عمل القلم فهو من الصفات الثابتة ينتفع به من يخالط صاحبه ومن لايخالطه ولو كان بينهما بعد المشرقين بل وينتفع به من في عصره ومن يأتي بعده على ممر الليالي والايام ولان قامت الحاجة الي الكتابة في كل عصر فهي في هذا العصر اشد كما انه وان احتاج اليها جميع الناس فان العالم اشدهم احتياجاً لانها من اهم اسلحته التي يقضي بها اغراضه ويقيم بها من دعائم الاصلاح ما شاء الله

فضل الانشاء معلوم من اول الدولة الاسلامية وقد كان سابقاً لاصحاب الاقلام النصيب الاوفر من التقدم والرفعة بل كان هو الميدان الذى يتسابق فيه الفضلاء من اهل العلم والادب

لاينكر فضل الانشاء وقيمته العالية احد حتى الجهال والبسطاء

والاميون الذين يحبون دائمًا ان يكتبوا لاهليهم واصدقائهم بعبارات انشائيه بليغة وقد يدفعون في سبيل ذلك اجورًا عظيمة . وفائدته في التأثير اشهر من ان تذكر فقد تفعل الجملة الواحدة من جمل الانشاء ماتعجز عنه السيوف والحراب والمدافع وطالما اورث الانشاء غني وجاهًا وجلب سلامًا واقام حروبًا ونجى من الموت وطالما كانت له اليد الطولي في توبة العصاة وانابة الفاسقين ومن العجب ان يجهله مع ذلك علمائنا جهلاً فاحشًا وصل بهم الي حد ان تضرب بهم الامثال في ذلك وان تتخذ بعض مكتوباتهم سخرية واستهزاء لدى بعض الناس

وحقًا ان اكثرهم لايحسن كتابة الخطابات العادية نصف ما يحسنها تلامذة المدارس الابتدائية وهذا من العار الفاضح والخزي العظيم

ياعجبًا كيف لايعرف الانشاء قوم جعلت العلوم العربية عندهم موضع التنافس والتسابق اكثر من العلوم الدينية المقصودة بالذات . عليها وقفوا حياتهم وفيها امضوا اعمارهم ثم يفوقهم في ثمرتها غيرهم من جمهور الناس ام كيف يجهل الانشاء من يكاد

لايكون لهم وسيلة في القيام بالواجب عليهم افضل من الانشاء. ثالله ان هذا قلب للكيان نعوذ بالله الطي العظيم. اعجب من ذلك اني سمعت كثيراً منهم يذم قراءة فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده وتأليفه بانهما اشبه شيء بكلام المحامين واصحاب الجرائد كانهم ظنوا ان الخروج عن الاسلوب المعهود بينهم يعد من الغلطات الكبرى والنقص المشين. على ان اسلوب الجرائد الآن من احسن الاساليب واشدها تاثيراً ومناسبة للغة الفصحى ولو ان علمائنا يعرفون ان يكتبوا كما يكتب اصحاب الجرائد لعدوا من الصف الاول في البراعة والبلاغة وهب جدلا ان هذا الاسلوب غير حسن في ذاته اليس هو الاسلوب المشهور والمؤثر الآن فلماذا لانعلمه ولماذا لانأتي باحسن منه ان امكننا. على اني لاتفاضل عندي في الكلام الا بقدر ما فيه من التأثير حتى اني افضل العامية على العربية متى كانت مؤثرة اكثر منها وعلى كل حال فان تعلم الانشاء واجب من الواجبات المهمة سواء كان نثراً او نظماً ولا احب الاكثار من النظم ولكن يجب ان يكون مقدوراً للعالم وطالب العلم والله الموفق لما فيه الخير والسداد

العروض

علم العروض من ابسط العلوم على الحقيقة كما انه من اشدها لزوماً للعالم لا لاجل ان يقول الشعر فقط بل ولامر آخر اهم وهو التمكن من قراءة الشعر سليماً من الكسر . والشعر لايخلو منه كتاب من كتب الدراسة تمثيلاً او استشهاداً

ولكن من الغريب ان اكثر العلماء لايعرفه وطالما سمعنا منهم كسراً وتخليطاً في الابيات الشعرية

ولبئس النقص ان يكون الشخص من كبراء العلماء ولا يدري هل هي مثلاً لهم بالضم او بالسكون وكم مرة رد في هذا الموضوع الصغير على الكبير وهذا اعظم دواعي التحقير

فمن هذا ارى وجوب تعلم هذا العلم على من لايعلمه ولا يجب التوسع فيه ومعرفة الدوائر وامثالها بل قد لايحسن ولهذا الموضوع بقيه تجدها في مقدمة رسالتنا (المسلك الجديد) لعلمي العروض والقافية

علم متن اللغة

هذا العلم من اجل العلوم واعظمها قدراً بل هو للعلوم العربية

باسرها بمنزلة الاساس او العماد وحاجة العلماء والطلاب اليه شديدة ليكون لهم مادة وافية بها يتكلمون ومنها يكتبون احياً للغة العربية ونشراً لالفاظها وتجديداً لمعاهدها وليمكنهم ان يفهموا كتاب الله وحديث رسوله وكلام اصحابه وما ورد عن العرب في الجاهلية والاسلام من كلامهم المنظوم والمنثور المحتاج اليه في العلوم

وبازاء اشتغالنا بعلوم اللغه من النحو والصرف والمعاني والبيان كان المعقول ان نعطي اصل علوم اللغه شيئاً من الالتفات والعنايه

ولكن من الغريب اننا تركنا هذا العلم ووصلنا في تركه الى حد لانعلم معه الغريب من الفاظ القرآن (وهذا امر سهل قليل) فضلاً عن الحديث فضلا عن كلام المولدين فضلا عن كلام العرب الخلص

ترى احدنا قد يكرر الآية في صلاته وهو جاهل ببعض مفرداتها وان سئل في معنى بعض الاحاديث احتاج ان يراجع . اما كلام العرب وغيرهم من الشعراء المولدين (عفى للموجودين في

عصرنا هذا) فلا يمكننا ان نقرأه الا وبين ايدينا اسفار اللغة نراجع فيها اكثر كلمات كل بيت حتى ان قراءة عشرة ابيات من الشعر العربي او غيره وفهم الفاظها قد يأخذ اكثر من ساعة في المراجعة

بلغنا في هذا التقصير الى حد صرنا فيه نسمي ما لانعلمه من الالفاظ (بالكلمات اللغوية) ولو وجد مع هذا عندنا حب المراجعة لكان فيه تسلية وتدارك للنقص بل لزال هذا النقص على التدريج ولكن من المحزن ان ذلك مفقود ايضاً فترى احدنا اذا سمع كلاماً لايفهمه قال (هذا كلام لغوي) ثم اعرض عنه ونأى بجانبه ولم تهمه معرفته ولا مراجعته

ماذا يكون حالنا من الخجل اذا جمعتنا باحد الادباء او العلماء جامعة ودار الكلام على شيء من هذا وظهر اننا خلو منه بالمرة في حين انهم من اعظم المطلعين على اللغة الا يستهزؤن بنا ويسخرون ويعتقدون ان العلماء ليسوا بشيء يذكر

نرى التلميذ الصغير في المدارس الاميرية وغيرها يحفظ من كلمات اللغة الاجنبية ما يزيد عن الالفين ونتكاسل نحن في

في لغتنا هذا التكاسل الشنيع الا تكون منزلتها منا منزلة اللغات الاجنبية في المدارس او نفرضها لغة اخري غير لغتنا ونعيرها شيئاً من العناية

انا لا اريد ان نحيط باطراف اللغة حتى لانحتاج الى المراجعة فان ذلك قد يكون متعذراً. وانما أريد انه يجب ان نزاول هذا العلم حتى نعد من المطلعين فيه وحتى لانحتاج الى المراجعة في كل شيء وان كان بسيطاً سهلاً

فعلى علمائنا وطلابنا العناية والالتفات تداركاً لهذا النقص والله خير موفق ومعين

علوم حقايق الموجودات

وخواصها واسرارها

يندرج تحت هذا العنوان علوم شتى لاتكاد تحصى عدا من نحو الكيمياء والطبيعة والهيئة والطب و. و. و. الي آخر ما قد لايخطر اسمه لي (ولا لعلمائنا) على بال وكلها من العلوم المفيدة اللازمة في الدين والمعاني الادبيه والامور الماديه وقد دعا الله

الى النظر في موضوعاتها غير مرة بل اكثر القرآن جاء حثًا على النظر في الموجودات.

ولا شك انه وان كفى النظر السطحي ولكن التحقق من هذه الاشياء على الطرق العلميه مما يورث كمال اليقين . ان اعتقاد الناظر في هذه العلوم والعالم ببعض تفاصيلها هو الاعتقاد الكامل الذي يعد النفس الى الاقتراب من موجد العوالم كلها. وفرق كبير بين الاثر الذي يحصل في نفسك اذا سمعت ان فلان شجاع كريم على سبيل الاجمال وبين الاثر الذي يحصل عندك اذا شاهدت جزئيات وقائعه في الحروب ونظرت ما يصدر عنه من الاحسان نعم نعم فرق بين الاجمال والتفصيل . فرق بين الشهود والتقليد. الوجدان الذي يحصل من الاستكمال العلمي والنظر في الموجودات ومعرفة انواعها ونظامها وترتيبها الخ يرفع الانسان الى حد يكاد يجعله سلطان العوالم كلها (ولا شك فالعلم نوع من الاستيلاء على المعلوم) ويريه كأنه يشرف عليها من كوة عاليه فوقها ويخيل له معنى السعادة والغني التامين والكمال المطلق ويقربه من شهود مبدأ الوجود . وشيء كهذا كيف يهمله العلماء وكيف لا نعلم منه

مبادي على الاقل

لان كان امتياز الانسان عن انواع الحيوان وفضله عليها انما هو بقوة النطق والفكر والعلم فلا شك ان النظر في الموجودات مما يقويها وينميها ويحقق معنى التفضيل بها وان نسبة المستكمل في هذا النظر الى سواه كنسبة الانسان الى الكلب الذي يشاركه في مطلق الادراك بل واخص منه وهو ادراك المنفعة والمضرة فكيف مع هذا نجهل هذه العلوم ونحن العلماء الذين لا صناعة لهم غير العلم والاستكمال فيه ولنا من الوقت ما يمكن ان يحقق هذا الكمال فيه

ولان كان امتيازه باتقان الفعل وحسن الآثار وتحصيل المصالح والابتعاد عن المضار فلا جرم ان ذلك لا يكون الا بالاستكمال في العلوم الكونية والنظر في خصائصها واسرارها فكيف لا ننظر فيها على قدر الطاقة

دع عنك هذا اليس الجهل بها في هذا الزمان الذي انتشرت فيه المعارف وتقدمت فيه العلوم يعد من النقائص الموجبة للتحقير والالمام بشيء منها يعد من اسباب التفاضل ويجعل الانسان كبيرا

محترماً في اعين الناس واليس العلماء وطلاب العلم اولى الناس بتربية المهابة والتحقق باسباب الاحترام ليكون هناك تأثير لنصحهم وارشادهم الديني

تالله ان معرفة شيء من هذه العلوم لمن اعظم ما يكسب العلماء والطلاب النفوذ والتأثير الواجب ويرفعهم في اعين الناس ويجعل اهل الطبقات العليا خاضعين لهم مطيعين لارشادهم

منافع هذه العلوم منافع جمة لايستغنى عنها الانسان في هذا الزمان وكل ما يتمتع به الناس (ومنهم العلماء والطلاب) هي من آثارها التي توجد في لباس العالم ومسكنه واثاثه وكتابه و.و.الخ وتركها هو الذى اوجب للامة الاسلامية هذا الذل والصغار والتفرق وهو الذي رفع الاوربا ويين عنا وجعلهم سادة وملوكاً وجعلنا عبيداً وخدماً فالواجب على العلماء ان يجعلوا فى مقدمة ما يرشدون الامة اليه ويحثونها على التمسك به الاشتغال بالعلوم الكونيه والانتفاع بها ولا يتم لهم هذا على الوجه المفيد الا اذا كانوا عالمين بها ولو على وجه الاجمال

وبالجملة فان فوائد هذه العلوم لاتكاد تحصى ووجوب

الاشتغال بها لايختلف فيه العقلاء فالواجب علينا ان نعرف مبادئها وشيئاً من مسائل كل علم اذ الاستكمال فيها غير مقدور الا لمن يريد ان يقصر اشتغاله على علم منها او علمين وذلك ينبغي ان تقوم به فرق من الامة غير العلماء

المعلومات المتنوعة

يحتاج كل انسان يريد ان يعد من رجال هذا المجتمع الانساني اليوم ومن اهل الطبقات المهمة فيه الي معرفة كثير من المعلومات المختلفة التي لاتدخل تحت حصر مما يتعلق باصطلاحات الناس ورسومهم وعوائدهم ومما يتعلق بالمكتشفات والمخترعات وطرق المواصلات ونظام الحكومات واصطلاحات البريد ونظام البيوت وحاجياتها وانواع الملابس واثمانها الخ الخ الخ ولا شك ان العلماء وطلاب العلم احوج الناس الى معرفة ذلك للانتفاع به في انفسهم والاستعانة به في تأدية واجب الارشاد وليكونوا محترمين كاملين في اعين سائر الطبقات ولكنهم على ما علم مما تقدم يجهلون اكثر الاشياء الضرورية التي من هذا القبيل وهذا عيب كبير ونقص ظاهر ومن الواجب الالتفات الى مثل

هذه الاشياء التي يسهل تحصيلها وتكبر نتيجتها ويضر اهمالها والله الموفق الي ما فيه الخير والنجاح

اقتراح مفيد

الساعة وانا افكر فيما عساني ان اكون تركته من العلوم اللازمه وفى المقادير اللازمة منها وفي معرفة الكتب التي تفيد ذلك بسهولة . عنّ لي ان اقترح على رؤسائنا السعي في ايجاد كتاب مختصر جامع لسائر انواع العلوم قديمها وحديثها شرقيها وغربيها عربيها ورومیها وافرنجيها بحيث تذكر فيه مبادي كل علم ومنافعه ومزاياه والكتب المؤلفه ومشاهير أئمته وكلياته الاصطلاحيه وتفسيرها الخ الخ الخ ثم تذكر جملة لائقه من مسائله بعبارة سهلة بحيث تفيد الالمام البسيط بهذا العلم ويمكن ان يفهمها المتوسطون من غير احتياج الى معلم

والسعي في ايجاد كتاب آخر يجمع سائر المعلومات المتنوعه اللازمه في العصر الحاضر بحيث يغني الطالب عن البحث والتفتيش

ثم عنّ لي ان اقترح ثانياً على ساداتنا الافاضل ممن يعرفون شيئاً من العلوم اللازمه المجهولة الآن في المدارس الدينية ان يتبرعوا

ويجودوا على العلماء وطلاب العلم باعطاء درس منها في المدارس الدينية قياماً بالواجب الديني والاخوي والوطني والادبي وحباً في تقدم رجال دينه واهل ملته وزكاة لمعارفه التي وهبها الله له فيدرس الطبيب في اصول الطب ومسائل وقوانين الصحة وبيان المفردات التي تحويها الاجزخانات اليوم باسمائها ومنافعها وكذلك المركبات المحضرة وغيرها الخ الخ

اقتراح آخر

ليس يخفى ان هناك مسائل كثيرة خرافية لاتكاد تخلو منها كتب كثيرة وذلك كما ورد فى كتاب بدائع الزهور وغيره عن منبع النيل وانه من قبة يتفجر منها انهار اربعة وان رجلا وصل هناك وركب الفلك الخ وكما يظن بعض الناس من ان الارض محمولة على الثور وكما يعتقد ان الخياطة يوم الجمعة تورث كذا الى غير ذلك مما لايجدى

وهناك اشياء كثيرة يظن الناس انها من الدين وليست منه واشياء يظن الناس انها ليست منه وهى عريقة فيه

وان هناك مسائل كانت تقرر على وجه وقد بين الاكتشاف

وبرهنت العلوم العصرية على ضدها

وان هناك احاديث موضوعة كثيرة منشره

وان هناك عقائد كثيرة فاسدة

وان علمائنا اليوم يختلفون في بعض المسائل

ولا يخفى ان ترك هذه الاشياء كما هي فساد كبير يؤدي الى تغيير معالم الدين والى عدم ثقة الناس بالعلماء والى فهم الاجانب ان الدين يضاد الحقائق فلهذا اقترح ايضاً عقد مجتمع كبير ينظر في امثال هذه المواضيع ويقرر الحق فيها وينشره بين الناس بعبارة عربية بسيطة ليطلع عليها الخاص والعام ويكون هناك فائدة حقيقية من وجود العلماء ويتحقق انهم حماة العقائد وحراس الدين

كتب الفنون

المؤلفات القديمة

لا يعلم الا الله مقدار الكتب التي ألفها قديماً في الفنون المختلفة والمواضيع الكثيرة فحول العلماء وكبار الحكماء البالغة حد النهاية في الكمال ونهاية التحقيق والاسفار عن مكنونات الحقائق . كما لا يعلم الا الله مقدار تعبهم في الوصول اليها وتحضيرها بعبارات

حسنة · اي نعم لايعلم الا الله مقدار تلك الكتب التي تركوها لنا ميراثاً يورث سعادة الابد و يستوجب الغنى الذي لافقر بعده · ميراث ثمين لاتقدر قيمته وقد لايجود الدهر بمثله · ميراث حصلوه لنا باتعاب العقل والجسم و بذل النفس والمال · ميراث كانت تحسدنا عليه اكثر الامم · ولكن مما يوجب الاسف اننا كنا ورثة سفهاء مبذرين غير بالغين سن الرشد فلم نلبث ان ضيعناه ولم ندر اننا ضيعنا معه انفسنا · واعدمناه فعدمت معه سعادتنا المنتظره وذهب بذهابه مستقبلنا السعيد

ياحسرتاه على ما فرطنا · ياحسرتاه على الكنز الثمين · ياحسرتاه على الاثر النفيس · ياحسرتاه على اعمال الرجال وثمرات اتعابهم التي ذهبت سدى · ياحسره وياالف الف حسره · اكل السوس تلك الكتب العالية الغالية الثمينة واعدمتها يد الجهل والاهمال

كتب الشقاء وسوء الحظ على طلاب العلوم الاسلامية في العصر الاخير حيث لم يصل الى ايديهم ما تركه لهم اجدادهم بسبب وقوعه في يد من لم يعرف قيمته · كم من كتاب نفيس اكله السوس · كم من كتاب مزق · كم من كتاب حرق · وعلى هذا النمط ضاعت تلك الكتب وذهبت ولم

يبق منها الا بقية باقية متفرقة في الزوايا كادت تذهب ايضاً لاهمالها لولا ان بعث الله من ينشر بعضها مما لم يكن الناس يعرفون اسمه من قبل . فما هذا القصور والتقصير بل ما هذا السفه والتبذير

اليس من العجيب ان تهمل الكتب النفيسة حتى تضيع وتعدم ولا يتمسك الا بالكتب التي تعد من خسالة الكتب لما فيها من القصور والخطاء وعدم حسن الافادة وعدم التحقيق . ما لنا لانرى اليوم متداولاً من كتب اسلافنا الا النادر التافه الذي لايعد شيئاً بجانب ما اهمل

تالله لولا ان الله اتاح للامة قوماً قليلين ممن يحبون اظهار الكتب النافعة وآخرين ممن يحبون طبع الكتب للتجارة ما تمتعنا بشيء من الكتب النفيسة القديمة التي ظهرت في العهد الحديث .

فعلم الاصول مثلاً لم يكن مطبوعاً فيه ومشهوراً سوى جمع الجوامع بحاشية البناني وحاشية ابن قاسم وهما من من التشويش والخلط والقصور بالمنزلة التي يعلمها الناس وكان الطلاب والعلماء يبحثون عن حاشية العطار (وهي ليست بذاك الشيء بالنسبة الى فقه العلم) فلا يجدونها وربما عثر بعضهم عليها او على شيء منها

فغبطه الآخرون فلما طبعت عدوا ذلك من حسن حظهم وعنوان سعادة جديدة ونشأة اخري عالية في علم الاصول ولم تطل الايام حتى اظهر الله في هذا العالم ما هو اعلى وابدع وهو مختصر ابن الحاجب والتحرير للكمال ابن الهمام والمنهاج للبيضاوي فكان ذلك عنوان النشأة الجديدة والسعادة التامة حقيقة لطلاب علم الاصول جروا بها في هذا العلم شوطاً طويلاً وعلموا ان العطار ليس بشيء في جانب ما في هذه الكتب من جواهر الاصول. وقد يكون هناك (وهو الواقع) ما هو اعلى وارقى ولكننا لانعرفه كما ان هناك في كل علم كتب نفيسة جداً لانعلمها بل هناك من الكتب ما الف في علوم لم تزل تلك العلوم مجهولة عندنا بالمرة اما مسمى فقط واما اسماً ومسمى. فما هذا الحال الميت. وما هذا الجمود الشديد. انقصر على كتب لاترينا من حقائق العلوم الا اموراً بسيطة وكتبها النفيسة بجوارنا لاتمد لها الايدي حتى يأكلها السوس

ايجوز ان يتلقف الافرنج كتبنا ليترجموها او يطبعوها (بالعربية) ونحن عاكفون على حواشي السجاعي والبناني مثلاً. ايجوز ان يطبع

كتاب سيبويه فى اوربا باللغة العربية وينشر ونحن لانعلمه ولا نعلم طبعه حتى يأتينا رجل منا لخارج يحب الكسب فينشره وينشرغيره من الكتب النفيسة الضرورية . وكم من كتاب طبع فى غير هذه البلاد ونحن في اشد الحاجة الى مثله ولا نعلم اسمه ولا رسمه ولا ندري انه طبع مع سهولة المواصلات بيننا وبين سائر اطراف الدنيا

ظهر بيننا قريباً بعض علماء ممن بحثوا عن بعض الكتب القديمة النفيسة وطالعوها فكنا نعد الواحد منهم رب العلم ونظن ان هذا محض الفيض الذي خصهم الله به وكنا نبهت حين نسمع منهم معلومات وتحقيقات ومباحث لم نكن نعرفها من قبل . ولكن هذا على الحقيقة امرهم سهل جداً . ولو بحثنا كما بحثوا وطالعنا من الكتب مثل ما طالعوا لكنا احسن منهم او مثلهم ولزال هذا التعجب وذلك الاستغراب

الكتبخانات

بلغ هذا القصور معنا اننا لانعرف ابواب الكتبخانات ولا نقصدها بل ولا يخطر ببالنا ان نقصدها يوماً من الايام للاستفادة

بما فيها من غرائب الكتب ونفائس العلم ولو كانت بجوارنا بل معنا ونمر عليها كل ساعة (ككتبخانتي الازهر والجامع الاحمدي) اللتين لاحظ للعلماء والطلاب منهما الا استعارة الكتب المشهورة لغرض التعلم والتعليم .. اليس من العجيب ان نرى الاجانب يصرفون اغلب اوقاتهم في الكتبخانات بحثاً وتنقيباً ثم نري آثار ذلك في مؤلفاتهم ومعارفهم وجميع احوالهم ولا يكون لنا شيء من هذا الحال مع اننا اولي به منهم على ما نعتقد

اليس من الغريب ان يسافروا من مملكة الى اخري و يسيحون في الارض ومن اجلّ ما يقصدون الوقوف على ما في الكتبخانات من نفائس الكتب في حين اننا لا نرضى ان نكلف انفسنا خطوات الى الكتبخانة الخديوية مثلا

يقولون ان في الكتبخانات الاجنبية كثير من غرائب الكتب العربيه . أفأقول كان ينبغي ان نسافر لاستطلاعها علّ فيها ما ليس عندنا

تكوين الكتبخانات وفتح ابوابها للقاصدين نعمة كبرى و باب سعادة هائلة لمن يدخل منه و بمقدار احساس هذا المعنى والاقبال

عليه تكون الحياة في الامم والاحزاب والفرق لكن ومن المحزن الغريب ان ليس لنا من هذا نصيب

كان ينبغي ان يسأم منا موظفو الكتبخانات لكثرة ترددنا وكثرة ما نطلبه من الكتب وكان ينبغي ان لاتخلو الكتبخانات منا . وكان ينبغي ان ننتظر الفرص بكل تشوف وننتهزها لزيارة الكتبخانات . وما هي الا الجنات لو كانوا يعلمون

فلهذا ولما تقدم اري اولا انه لابد ان توجد الداعيه في نفوس العلماء والطلبة للبحث والتفتيش عن نفائس الكتب والسؤال عنها وجعل ذلك من موضع العناية . ثانياً انه لابد من انتهاز الفرص لزيارة الكتبخانات والاطلاع على ما فيها من الكتب الغالية المفيدة . ثالثاً انه لابد من اعداد محل واسع للمطالعة فى كتبخانتي الازهر والجامع الاحمدي . رابعاً تاليف لجنة تبحث عن الكتب النفيسة المطبوعة هنا او في الخارج و بيان فوائدها ومزاياها واثمانها والاماكن التي تطلب منها فى مصر او الخارج . خامساً الاتفاق مع اصحاب الكتب العالية الثمن على تخفيضها بالنسبة للعلماء وطلاب العلم حتى لايحرم منها الفقير

سادساً تاليف لجنة تبحث عما عساه يكون موجوداً من الكتب التي تكون اليق وانفع فى التدريس من الكتب الحاضرة لكي يقرر مجلس الادارة الاعلى تدريسها والله ولي التوفيق

المؤلفات الحديثة

كان من نتائج الجمود عندنا والتمسك بالعادات والاحوال الموروثة ان صرنا لانحب الا الكتب القديمة ولا نميل الي الكتب الجديدة التي الفت في هذا العصر . بل ونعتقد ان ليس في الامكان ابدع مما كان وان من ضروب المحال ان يأتي اللاحق بشيء يساوي به السابق فضلاً عن ان يفوقه . وهذا كما ترى من اشد دواعي الانحطاط والتأخر ومن الامور المثبطة للهمم والقاضية على ثمرات افكار الفضلاء اهل العقول الراجحة الذين لايخلو منهم زمان

لو نظر المتامل الى تاريخ علومنا والتأليف فيها كيف كانا رأى ان تلك العلوم نشأت صغيرة ناقصة وان الكتب التي الفت فيها اولاً لم تكن وافية بالغرض ولم يزل يكتب ويؤلف علماء كل عصر تحقيقاً وتحريراً وتكميلاً واستدراكاً وتسهيلاً حتي وصلت

العلوم الى درجة حسنة لائقة وان اسلافنا كانوا اذا رأوا كتباً ظهرت انفع من المتداول تركوا هذا المتداول وتمسكوا بالنافع · فلماذا امتدت هذه الحركات حركات التقدم والترقي ولما وصلتنا وقفت أجمودنا وانحطاطنا وتأخرنا كان هذا السكون ام لانه ليس فى الامكان ابدع مما كان على ما يقولون

تالله ان من القصور في النظر اعتقاد انه ليس في الامكان ترقية علومنا وايصالها الى درجة اعلى مما اوصلتها اليها يد السلف وان ليس فى الامكان ان توجد كتب اخرى واراء جديدة بل وعلوم ثانية لم تكن معهودة لمن قبلنا تفيد اعظم افادة في ترقي المعارف وتقدم الانسان

لو كنا نستعمل الجيد من كتب اسلافنا لكان لحجتنا في عدم قبول غيره شيء من القبول ولكن كيف ونحن ما تمسكنا الا بالردي، قليل الجدوى

انا لاادري كيف يسوغ لأقوام تركوا نفائس الكتب القديمة وراء ظهورهم ورفضوا مبدأ المحافظة على القديم وتمسكوا بالحديث من نحو حواشي السجاعي وابي النجا والبناني وهى على ما نعلم من

الرداءة ان يعكسوا هذه القضية الآن و يتمسكوا بهذا الحديث الذي صار (قديماً) و يتركوا ما يحدث بعده مما لانسبة بينه و بينه في المنفعة والافادة . ها نحن نرى باعيننا فائدة الاعتناء بالحديث ونتمتع بآثاره الباهرة من مخترعات ومكتشفات وآراء وافكار الاوربيين الذين بلغوا اعلى مبلغ بسبب عدم اهمال ما ينشر بينهم من الكتب والآراء والافكار الحديثة

انا لاانكر ان من الحديث ما يجب اهماله وما هو مضر ضرراً بيناً ولكني اريد ان لانسوق الباب على وتيره واحدة لانسرع في الحكم قبل النظر والبحث وان لاتكون المعاصرة سبباً في الحرمان وفيض الله عام لايختص بزمان ولا مكان ولا طائفة دون اخرى من افراد الانسان والحكمة تؤخذ من الكبير والصغير والامير والحقير وكم ترك الاوائل للاواخر ورب مبلغ اوعى من سامع وذلك فضل الله يعطيه من يشاء . ولقد كان احتقار كل جديد سبباً في اهانة النبيين والمرسلين وحرمان الكثيرين من الاستضاءة بانوار الاديان المتعاقبة وكان ينبغي ان يكون لنا من هذا عبرة . ولقد وفينا هذا الموضوع شيئاً من حقه في كتابنا (الفاضل

بالفضيلة) فراجعه ان شئت

وعلى الجملة فاني ارى اولاً انه لابد من الاعتناء بالمؤلفات الحديثة والاستفادة منها وثانياً انه لابد من تشجيع كل مؤلف يمتاز تأليفه بميز مفيد بالمكافأة المادية والادبية من الادارة العلمية العالية

ثالثاً تأليف كتب جديدة للتدريس او المطالعة في العلوم المتداولة او غيرها متى تبين ان هناك حاجة الى ذلك والله هو الموفق والمعين

الباب الرابع
فى طرق التعليم ونظامه

طرق التعليم تنقسم قسمة اولية الى ثلاثة اقسام طرق التعليم العالي في نحو الازهر والجامع الاحمدي وطرق تعليم الجمهور وطرق التعليم الابتدائي في المكاتب وقد ينقسم كل واحد من هذه الاقسام الى اقسام شتى فان طرق تعليم الاميين لاتكون ابداً كطرق تعليم تلامذة المدارس ونريد الآن ان نتكلم على طرق التعليم العالي